مصر

عبر الزمان

دراسة تحليلية حول قصة
الصراع الدائم للاستيلاء على مصر

بهجت إبراهيم دسوقي

مصر

عبر الزمان

دراسة تحليلية حول قصة
الصراع الدائم للاستيلاء على مصر

بهجت ابراهيم دسوقى

تصـميم الغـلاف
والاشراف الفنى
محمد سليم

اهـــــداء

الى الام ٠٠٠٠ مصر الحبيبـــة

اهدى قصة صراعها من اجل تقدم الانسانية ورخاءها
حبـــا ٠٠ واجلالا ٠٠ ووفـــاء

مقــــدمة :

ان الصراع الذى يدور على الارض العربية الآن ليس وليد الساعة ولا هو مصـــادفة تاريخية عابرة • ولا هو صراع بين شعوب المنطقة ودخـــلاء يحاولون أن يجـــدوا لهم موقعا يستقرون فيه •

بل هو قصـــة طويلة عمـــرها يقرب الآن من ســـبعة آلاف عام • هى قصة صراع بين الخير والشر • بين انسان يبنى ويخلق وآخر يهدم وانسان يبتكر ويبدع وآخر يسلب وينهب

قصة قصدت أن أقدمهـــا موجزة لجيلنا الحاضر ولاجيالنا القادمة ، لتعيها وتدرك واقعها كى تنطلق ، وقـــد واتتهـــا الفرصة المنتظرة بانتصارها العظيم فى حرب اكتـــوبر • ذلك الانتصار الذى لاينحصر فى المعارك الحربية فقط • ولكنـــــه الانتصار على العوامل النفسية ، الانتصـــار على القصـــور الذاتى ، الانتصار على موجة الضعف والتخاذل ، الانتصـــار على كل ما حققته وصية لويس التاســـع من ضعف وتفتيت وانهاك لشعوب الشرق • تلك القصة التى أفرغت فيها رؤياى الشخصية لما جرى ويجرى على الارض العربية •

أن الانتصـــار الذى تحقق فى أكتوبر هو صحوة العملاق المصرى كى يتقدم ويقود الشرق نحـــو خلق وابداع جـــديد للانسانية جمعاء •

عـلم .

اذا كان لى أن اتعرض هنا لهذا الموضوع الخطير والحساس فلأنه الواقع الذى تقع عليه عيوننـــا . وتتبلور فيه مبادىء الفكر الانسانى لتبرز على السطح ما كان دفينا داخل نفوس مريضه ، كان سعيهأ دائما لطمس معالمالفكر الانسانى ومحو اسس الحضارة البشرية لتبنى على انقاضها فكرا خاصا بها وحضارة تعبر عن تلك النفوس المريضه بالسيطرة والاستغلال والعنصرية .

ولنعد الى ماضى بعيد حيث كانت الحضارة المصرية حتى قبل عهد الاسرات الذىبدأ منذ أكثر من ٣٠٠٠ سنة قبلالميلاد ــ تتميز بمظاهر شكل الدولة من النواحى الاقتصـــادية والاجتماعية والسياسية ، وكانت الزراعة أساس الحـــياة الاقتصادية ، كما أن المصريون استعملوا فى سنة ٤٢٤١ ق.م تقويما ذا سنة شمسية يتكون من ٣٦٥ يوما ، ومع بداية عهد الاسرات الذى بدا منذ ما قبل ٢٩٠٠ ق.م بدأ شكل الدولة يتحدد واستطاعت الاسره الاولى والثانية ، ان توحـد مصر العليا والسفلى تحت حكم الملك مينا . وبدات معالم النهضة البشرية والحضارة الانسانية تفرض نفسها وتضع أســـس التطور الانسانى .

وبينما الحضارة المصرية تدعم مفاهيمها ومبادئهـــا كانت اوروبا بعيدة كل البعد عن أى مفهوم حضارى ، وكانت آسيا فيها بعض التجمعات القبليه ذات عادات وتقاليد اتخـــذت اساسا للعلاقات الاجتماعية . ثم أخذت تتحدد شخصيتها فى الحضارة السومريه والبابليه والاشورية والحورية ، كما برزت حضارة الحيثيون ، والفريجيون والليديون ثم الحضـــــارة الهيلنسينيه . ولقد كانت الحضارة الليدية حلقة الاتصال بين الشرق والغرب ثقافيا وتجاريا . و فىايران كانت حضـــارة العيلاميون والميديون والفرس وكانت كلها تعبيرا عن أشكال الحضارة الاسيوية ومنها الحضارة الهنــدية والتى جاءت متأخرة فى شكل الحضارة الارية .

انتقال الحضارة الشرقية الى أوروبا

ذلك عرض سريع للحضارات الانسانية فى افريقيا وآسيا فى فترة تبدا من اربعة آلاف سنة قبل الميلاد . وحتى ظهـــور الحضارة اليونانية فى اوائل ٢٠٠٠ ق.م بظهور نظام الاسرة فى كريت ، وكانت أوروبا كلها لاتعـرف شيئا عن التطـــور الحضارى ولا عن قيام مجتمعات انسانية سواء على مستوى الاسرة او القبيلة . واذا ما القينا نظرة سريعة على التطور الحضارى فى أوروبا وخاصة فى اليونان سنجد :

أولا : ان مفاهيم التطور وبناء مجتمعات حديثة لم يكن الا من خلق الحضارة المصرية والاسيوية التى عبرت جبـــال طوروس من خلال الممرات الهامة مثل أبواب فيليقيا والهضبة المرتفعة الوسطى ، ولقد استطاع الليديون من خلال هـــذه الممرات نقل الحضارة الاسيوية والمصرية الى اليونان وايطاليا كما أن القوافل البحرية من شواطىء الدلتــــا المصرية الى الشواطىء المواجهة لها فى اليونان وايطاليا ، كانت عاملا هاما فى نقل الحضارة المصرية كما أن الجنس الهندى الاوروبى الذى غزا ايطاليا وسويسرا ساهم فى نقل الحضارة الاسيوية الى أوروبا منــذ ٢٠٠٠ سنة ق.م . وبعــد انهيـــار امبراطورية الحيثيين هاجر عدد من سكان ليديا بأسيا الصغرى الى ايطاليا واستقروا شمال نهر التيبر حاملين معهم مفـــــاهيم وقيم الحضارة الحيثية .

ثانيا : ان التطورات التى حدثت فى أوروبا لم تكن تطورات لبناء مجتمع جديد وخلق تطور انسانى يخدم البشرية . ولكنه كان صراعا على السلطة من أجل التحكم والاستغلال . وان الغزوات العديدة التى حدثت فى هذه المنطقة ولتاريخ طويل لدليل على روح الاستغلال والسيطرة . كحرب طرواده التى اندلعت فى عام ١١٨٤ ق.م ثم غزو الدوريون لكريت عام ١١٠٠ ق.م وحرب اسبرطه مع يتجيا . حرب أرجوس ضد اسبرطه ٦٨٠ ق.م ، ثم الحرب الميسينيه الثانية . كذلك حروب صقلية وفى عام ٤٧٩ ق.م . اندلعت حروب البلوبونيوس ثم اشتعلت

الحرب الميسينيه الثالثة · وفى عام ٤٦٤ ق·م قامت حرب البلوبوينوس الكبرى وهى حرب الارخيداميه وحرب الديكلينيه من عام ٤٢١ الى ٤٠٤ ق.م. واستمرت النزاعات الحربية هكذا لا تخلف وراءها الا الدمار والهموم والتخريب وهكذا نجد أوروبا عاشت حياتها كلها فى صراع وغزوات وتخريب حتى مطلع القرن العشرين .

مصر القديمة

وفى الجانب الاخر فى مصر بعد أن وحد مينا القطرين نجد أن حكام الاسرات من ٣ الى ٦ فى الدولة القديمة قاموا ببناء الاهرامات ، كما انشئت بحرية مصرية . ولقد بلغ الفن المصرى ذروته أيام الاسرة الخامسة . وفى الاسرة الثانية عشر حددت نهاية العصر الكلاسيكى للادب المصرى التى برزت فى قصة سنوحى · كما تقدمت فنون العمارة والنحت تقدما باهرا ·كما استطاع امنمحات الاول (٢٠٠٠ — ١٩٧٠ ق·م) أن يكسر شكيه امراء الاقاليم وبدأ حروب الغزو التى أكملها سنوسرت الاول (٩٨٠ — ١٩٣٥ ق·م) وفيما بين (١٨٤٩ — ١٨١٤ ق·م.) استطاع امنمحات الثالث تنظيم استغلال مناجم سيناء ، كما انشأ مشروعات مائية بالفيوم (بحيرة موريس) وبنى مجموعة القصور المعروفة باللابيرانت (قصر التيه) .

وبينما هذا التقدم الحضارى المزدهر يسير من أجل الانسان كانت هناك جماعات مدمرة مخربة تتجمع من آسيا الصغرى ومن فلسطين وسوريا ولا اصل لها ، هذه الجماعات هى ما أطلق عليها الهكسوس وهم خليط من الساميين ، والحوريين وليس لهم اصل حضارى .

ولقد غزا الهكسوس مصر فى عصر الاسرة الخامسة عشر حوالى عام ١٦٨٠ ق·م. واتخذوا هوارة بالدلتا عاصمة لهم . ولكن الشعب المصرى صانع الحضارة وباعث النهضة قاوم هذا الغزو دفاعا عن القيم الانسانية والحضارية . واشتدت مقاومته فى عهد الاسرة السابعة عشر ثم استطاع أحمس فى

١٥٨٠ ق.م. ان يطرد الهكسوس نهائيـا عن مصر وقضى عليهم واتجه الى التوسع خارج حدود البلاد وفرض الاستقرار والامن وعادت روح مصر العظيمة من جديد تمد العالم بنفحات خلقها وابداعها .

وكان عصر امنوفيس الثالث ١٤١١ ــ ١٣٧٥ ق.م. عصر رخاء عظيم وتقدم ثقافى . ولقد واجهت مصر غزوات متعددة من الداناى والفلسينين . والحيثيين والعاموريين فى الشمال والخابيرون العبرانيين فى الشرق .. كما صد منفتاح هجوما مشتركا من الليبيين وشعوب البحر السردانيين والصقليين والاخبيين والليبيين عام ١٢٢١ ق.م. ولقد كانت كل هذه الغزوات تستهدف الانسان المصرى لتوقف تقدمه ولتنهب فكرة وما ابدعه . ولقد استطاع الليبيون أن يغزو مصر ويحكموها عام ٩٤٥ ق.م. وتلاهم الاثيوبيون الذين استولوا على مصر بقيادة شياكا عام ٧١٢ ق.م.

وبدأت مصر تتعرض للسيطرة الاجنبية وهكذا خضعت مصر لحكم الفرس بعد أن هزم قمبيز بسمارتيك الثالث ٥٢٥ ــ ٤٠٤ ق.م. ثم خضعت لحكم الاسكندر الاكبر ٣٣٢ ــ ٣٢٣ ق.م. ثم لحكم البطالمة من ٢٣ ــ ٣٠ ق.م. ثم لحكم الرومان بعد ذلك .

وانكمش الشعب المصرى على نفسه فى محاولة للحفاظ على قيمة الحضارية كارة بالدفاع عنها وتارة أخرى باخفائها بعيدا عن أعين الغزاة . كلما سنحت له فرصة النهوض انطلق لايحدوه الا شىء واحد هو أن يضيف للانسانية جديدا من أجل رقيها وتقدمها وازدهارها .

الجانب الروحى لحضارة الشرق

ان قدر هذه المنطقة الذى اهلها لتكون منبع الحضارة اهلها ايضا لتكون مهبط وحى السماء . فلقد اختار الله موسى عليه السلام ليحمل رسالة السماء الى الارض . دعوة للحق وهديا للطريق ، وناضل قومه من اجل دعوته ، وقدم للناس تعاليم السماء . وكانت مصر مركز دعوته وتحركه ولقد كانت قصته مع فرعون والسحرة مثلا لهذا الصراع الدينى وانتصر موسى بغرق فرعون واتباعه . اذ قال تعالى فى سورة الزخرف

«ونادى فرعون فى قومه ، قا ل يا قوم أليس لى ملك مصر هذه الانهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون » .

كما أن قصة يوسف عليه السلام جرت أحداثها كلها فى مصر اذ يقول سبحانه وتعالى فى سورة يوسف ، « وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته اكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا » كذلك قوله سبحانه وتعالى « فلما دخلوا على يوسف أوى اليه أبويه ، وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين» .

ومن قبلهما سيدنا ابراهيم عليه السلام حيث هاجر من الخليل بفلسطين الى مصر حيث ترك زوجته السيدة ساره وتزوج من مصر السيده هاجر حيث سافر بها الى مكه ومعها ولدهما اسماعيل . ثم كانت المسيحية على يد عيسى عليه السلام الذى لاقى فى سبيل دعوته صنوفا من العذاب ، ولكنه لم يهن ولم يضعف . ولقد حاربه نفس الجماعة التى شكلت الغزو الهكسوسى على مصر وهم الذين كذبوا موسى عليه السلام فأضلهم الله وتاهوا فى الصحراء أربعين عاما . وهم

اليهود الذين خرجوا على تعاليم موسى عليه السلام وانتشروا فى فلسطين «ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق من سورة البقرة » وانتشروا أيضا فى شبه الجزيرة العربية .

ثم كان الاسلام خاتم الرسالات متمما ومكملا لكل القيم الدينية والدنيوية وحدد معالم النهضة الانسانية بقبس من السماء ، تمثل فى تشريع السماء للارض . أحصى فيه سبحانه وتعالى كل صغيرة وكبيرة . وقدم للانسانية دستور حياتها وملهم رشدها . وكانت الدعوة الاسلامية بداية تطور ونمو كبير فى الفكر الانسانى . وبدأت اسس جديدة فى العلاقات الانسانية تبلورت فى تنظيم شكل الدولة وعلاقاتها السياسية مع جيرانها وعلاقاتها السياسية مع رعاياها . كما جدد النظم الاجتماعية بين الدولة والفرد وبين الافراد بعضهم بعض كما نظمت الاوضاع الاقتصادية للدولة ومسئولية الحاكم والمحكوم . ولقد كانت للاسس التى قامت عليها الدعوة الاسلامية من العدالة الاجتماعية والتسامح والمساواه اثرا فى سرعة انتشار الدعوة وفى اقل من مائة عام كانت الدعوة الاسلامية تمتد على أرض من بلاد الاندلس غربا حتى حدود الصين وشرق الهند شرقا . وبدأت الحضارة الاسلامية تزدهر وتتقدم بنفيس فكرها . حيث كانت العراق ومصر والمغرب مراكز للاشعاع الفكرى الاسلامى .

العرب فى الاندلس

كما أن الحضارة الاسلامية فى الاندلس كان لها أكبر الاثر فى توجيه وترشيد الفكر الاوروبى .

فبعد فتح الاندلس فى عام ٧١١ نشط العلماء المسلمين الذين قدموا الى الاندلس فى انشاء المعاهد والجامعات وازدهرت حركة التأليف . وشملت الحضاره الاسلامية بالاندلس معظم أنواع المعارف فى الادارة والزراعة والصناعة والتجارة وفى الحياة الاجتماعية والعمران والعلوم ولقد برز علماء عظام فى

الاندلس مثل ابن خلدون . ولسان الدين بن الخطيب الادريسى واضع علم الجغرافيا . وابن رشد وابن ماجه وابن طفيل وهم من أعظم فلاسفة العصر وتدرس كتبهم بأوروبا الآن . كذلك ابراهيم بن يحيى النقاش الذى اشتهر فى الفلك فاليه يعود الفضل فى تقدير فترة كسوف الشمس وتحديد مدتها وابتكر اسطر لابا مكنه من تقدير البعد بين الارض والقمر وغيره . كما أن أحمد بن اياس القرطبى يعتبر من أعظم أطباء الاندلس فى مختلف عصورها ولقد ألف فى الطب والادوية .

ولقد تقاطر على الاندلس طلابا من أوربا للدراسة فى الجامعات العربية وتخصصت فى اشبيليا كلية للترجمة والى طلابها يعود الفضل فى ترجمة الكتب العلمية العربية مثل الجداول الفلكية للخوارزمى والبتانى وابن جابر والفرغانى والزرقالى وغيرهم.

وشاع استعمال هذه الجداول وأمثالها فى أوروبا والصين والهند وقد حملت هذه الترجمة وغيرها ككتب الرياضيات الارقام التى عرفت فى أوروبا بالارقام العربية . وبجانب النظريات الرياضية والفلكية انتقلت الى أوروبا كذلك النظرية الفلسفية العربية كما هو الحال فى نظرية الكندى بأن مصادر المعرفة هى الحواس والعقل والخيال . ولاتزال مدرسة (كانت) تعتنى بها حتى الان . كذلك نظرية الفارابى فى التدليل على وجود الله التى اقتبسها منه أبو موسى بن ميمون ويعد هذا الاخير تلقاها توماس كوينى .

وانطلق العملاق المصرى بعد أن تحرر من سيطرة الرومان وفتح قلبه وعقله وفكره للدعوة الاسلامية حيث وجد فيها نبع فكره وملهم روحه وجند نفسه للدفاع عن هذا الفكر الحضارى وانطلق يدعو له فى كل مكان . ولعظمة الانسان المصرى وعظمة وطنه وقدسية أرضه الطاهرة فقد ورد ذكرها فى القرآن فى مواقع عديدة فقد قال تعالى فى سورة البقرة « اهبطوا مصراً فأن لكم ما سألتم » . وفى سورة يونس « وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتا » وفى سورة يوسف « وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته اكرمى

مثواه » كذلك « ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين » . وفى سورة الزخرف « أليس لى ملك مصر وهذ ەالانهار تجرى من تحتى » وفى سورة يوسف « وقال نسوة فى المدينة ، امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا » وفى سورة القصص « ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها » ، «فأصبح فى المدينة خائفا يترقب » . « وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى » . والمراد بالمدينة فى هذه الايات مصر . وقال تعالى فى سورة المؤمنين « وجعلنا ابن مريم وامه أية واويناهما الى ربوة ذات قرار معين » وأجمع المفسرين على أن الربى لاتوجد الا فى مصر . كما قال تعالى فى سورة يوسف « قال اجعلنى على خزائن الارض » «ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم فى الارض » .

« ان تريد الا ان تكون جبارا فى الارض » . كذلك أجمع المفسرون على ان الارض فى كل هذه الايات المراد بها مصر .

كما ورد ذكر مصر فى أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام حيث يقول « استوصوا بقبط مصر خيرا فأن لنا فيهم نسبا وصهرا » كما يقول ما معناه ستفتح لكم أرض القراريط (ويراد بها مصر) وان اجنادها خير اجناد الارض جميعا .

ولقد كانت هاجر زوجة سيدنا ابراهيم عليه السلام وأم اسماعيل من مصر كما تزوج يوسف عليه السلام بنت صاحب عين شمس . كما أهدى المقوقس حاكم مصر بعض الهدايا لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ومن بينها مارية القبطية التى تزوجها الرسول الكريم .

كذلك رسالة عمرو بن العاص للخليفة عمر بن الخطاب فى وصف مصر تعتبر قطعة أدبية رائعة فقد جاء فيها :

« أعلم يا أمير المؤمنين أن مصر قرية غبراء ، وشجرة خضراء طولها شهر وعرضها عشر ، يكتنفها جبل أغبر ورمل أعفر ، يخط وسطها نيل مبارك الغدوات ميمون الروحات ،

تجرى فيه الزيادة والنقصان كجرى الشمس والقمر . له أوان يدر حلابة ويكسر فيه ذبابه . نمده عيون الارض وينابيعها . حتى اذا ما أصلخم عجاجه ، وتعظمت أمواجه ، قاض على جانبيه . فلم يمكن التخلص من القرى بعضها الى بعض الا فى صفار المراكب « وصفاف القوارب ، وزوارق كأنهم فى المخايل ورق الاصائل ، فاذا تكامل فى زيادته نكص على عقبيه كأول ما بدا فى جريته . وطما فى دورته . فعند ذلك تخرج اهل ملة محقوره . وذمه مخفوره ، يحرثون الارض ، يبذرون الحب . يرجون بذلك التماء من الرب ، لغيرهم ماسعوا من كدهم ، فناله منهم بغير جدهم ، فاذا احدق الزرع واشرق ، سقاه الندى ، وغذاه من تحته الثرى ، فبينما مصر يا أمير المؤمنين لؤلؤة بيضاء ، واذ هى عنبره سوداء ، فاذا هى زمرده خضراء فاذا هى ديباجه رقشاء ، فتبارك الله الخالق لما يشاء . والذى يصلح هذه البلاد وينميها ، ويقر قاطنيها فيها ، الا يقبل قول خسيسها فى رئيسها . والا يستأدى خراج ثمرة الا فى أوانها. وان يصرف ثلث ارتفاعها فى عمل جسورها وترعها ، فاذا تقرر الحال مع العمال على هذه الاحوال تضاعف ارتفاع المال . والله تعالى يوفق فى المبدأ والمال . »

الحروب الصليبية وحرب المغول

الحروب الصليبية

وبينما الحضارة الاسلامية تعطى من نبعها العـــالم كله وتضيف الى القيم الانسانية اضافات حضارية من اجل البنـــاء الانسانى المتكامل . كانت سحب من الظلام والحقد والبغض تتجمع فى أوروبا . فلقد طالما انتظر الاوروبيون الفرصة التى تمكنهم من محاربة دول الشرق التى انتشر نفوذها فى المنطقة وامتد اثرها الحضارى الى قلب أوروبا بما حمله فكـــرها وخاصة الاسلامى من قيم تتفق ومنطق التطور الانسانى ، قائما على مبادىء العدل الاجتماعى والمساواه البشرية والتسامح الانســـانى .

ولقد كانت أوروبا فى القرن العاشر تعيش فى لون آخر من الوان الصراع وهو التنافس على زعامة العالم المسيحى حيث كان البابا يسعى الى فرض سيطرته وسلطانه على هـــذا العالم بينما ملوك أوروبا كل يسعى الى فرض ســـيطرته الشخصية وعدم الخضوع لسيطرة البابا . وفى نهاية القرن العاشر استطاع البابا أن يفرض سيطرته .

أما فى العالم الاسلامى فقد انقسمت الدول الاسلامية الى دويلات فى كل من آسيا وافريقيا وأوروبا . واشتد التنافس بينها مما ساعد الاسبانيين على الســـيطرة عـــلى الاندلس وطردوا العرب منها وشجع الاوربيون على محاربة وغـــزو الدويلات الاسلامية فى آسيا الصغرى .

ولقد بدأ التحرش بالدول الاسلامية بادعاء البابويه قيـــام المسلمين بهدم كنيسة القيامة التى يحج اليها المسيحيون علما بأن هذه الكنيسة قام المسلمون بترميمها قبل الحروب الصليبية بسنوات .

كما أن أوربا كلها كانت تعيش فى تدهور اجتماعى واخلاقى وحضارى شديد . وكان يبدو هذا عليهم اثناء مرورهم من آسيا الصغرى فى طريقهم الى الاراضى المقدسة أو منها الى أوروبا .وفى هذا الجو المشحون قام البـابا أورليان الثانى بالتمهيد لتجميع قوى أوروبا ضد الدولة الاسلامية فى الشرق فعقد صلحا بين أمراء وملوك أوروبا سماه «صلح الله» .

ولم تكن الحروب الصليبية مجرد حروب دينية رغم محاولات الغرب المستمرة لصبغها بالصبغة الدينية . بل كانت حـروبا سياسية واقتصادية هدفها الاساسى ، السيطرة على تلك الينابيع الحضارية فى الدولة الاسلامية وخاصة فى مصر . لتبنى أوروبا عليها حضارتها وتقدمها . كما أنه بالسيطرة على آسيا الصغرى ومصر وشمال افريقيا فأنه يسهل تبـاعا السيطرة على افريقيا كلها وأسيا كلها . ويقول المؤرخ (عليوم دى يتر) « أن الصليبى كان يرى فى الشرقى فحسب عـدوه اللدود ـ مسلما كان الشرقى أو مسيحيا . ويضرب هـذا المؤرخ مثلا بمذابح الصليبيين فى غزوه الفرسان القساوسة لمدينة بلبيس حيث كانت مجزرة للاقباط لاقوا فيها حتفهم على أبشع صور القسوه دون أن يرحم الفرسان القساوسة الشيوخ من الضحايا ولا الاطفال الرضع أو النساء الضعيفات » .

وفشلت محاولات الغزو الاولى بقيادة البابا أورليـان . فقد تحطمت القوات التى جمعها والتى كانت تضم العبيـد الذين كانوا فى خدمة الاقطاعيين الاوروبين حيث هربوا من سيطرتهم تحت شعار الحرب المقدسة .

ثم كانت الحملة الصليبية الاولى والتى تمكنت من الاستيلاء على أورشليم فى عام ١٠٩٩ . ويقول عنها المـؤرخ العالمى (جيبون) « ان الحملة الصليبية الاولى تركت فى التـاريخ

أثرا مؤلما لما يدل على أقسى ما عرف من التعصب لا ضد المسلمين فحسب بل وضد مسيحى الشرق . اذ انه بمجرد استقرار الامر فى يد الصليبين بادروا باتهام مسيحى الشرق بالالحاد والتمرد على سلطة الكنيسة الشرعية . وقد لاقى مسيحيو الشرق من اولئك الذين جاءوا لانقاذهم من حكم المسلمين ما جعلهم يقارنون بحسره ، بين سماحة الحكام العرب وكرمهم وبين ما لاقوه من التنكيل والضرب على ايدى حكام الغرب .

وفى حوالى عام ١١٤٦م كانت الحروب الصليبية الثانية التى قادها الملك آمورى والذى كان يحكم اورشليم فى هذا الوقت . ولقد فشلت هذه الحملة على يد شيركوعم صلاح الدين الايوبى . وعاد اموري الى القسطنطينية للاستعداد لغزو جديد . الا أن صلاح الدين الايوبى زحف بجيوشه من مصر وسورية واستعاد الاردن ومملكة أورشليم . كما أنه استطاع مواجهة الحملة الصليبية الثالثة بقيادة ريتشرد قلب الاسد وأن يحطم فى نفس الوقت محاولات الملك أمورى فى غزو الاسكندرية ودمياط .

وان التقييم الحضارى لهذا الصراع ليبدو فى تعليقات المؤرخين الاوربيين انفسهم الذين لم يجدوا مناصا من ذكرها فيقول المؤرخ (شوير حاييم) « ان صلاح الدين الايوبى آثر دائما أن يكون حكمه قائما على العدل واللين والمحبة وانه على الرغم من شجاعته الحربية التى حققت له العديد من الانتصارات فى ميادين القتال ، كان يكره أن تقع عيناه على دم مراق ، وكان يحس الالم يحز فى نفسه ، لما تجلبه الحروب من الويلات ولما يصيب المقاتلين فى معاركها . ولميستخدم فى حكمه الحديد والنار والسم . فظل على رأس الاسلام حاميا للمسلمين بغير ما عنف ولا هوى مستندا فى كل تصرفاته الى مبادىء الشرف والمحبة . تلك المبادىء التى استطاع بها صلاح الدين أن يمكن سلطان العرب والمسلمين .

كما أنه لم يكن متعصبا ولم يكن ليحمل ضغينه أو بغضا للصليبيين باعتبارهم بشرا ولا للمسيحين الخاضعين لحكمه .

لذلك لم يضرب الصليبيين كمسيحيين بل كان يضربهم كأعداء بادءوا العرب العداء ، وجاءوا ليضربوا الاسلام في دياره ٠

حملة لويس التاسع وفشلها ووصيته :

لقد ظل لويس التاسع ملك فرنسا طيلة عامين يرسل المؤن والعتاد والذخائر والجنود الى جزيرة قبرص . اعدادا لحملته قبل ان يقوم بها . متخذا من هذه الجزيرة مستودعا لذلك كله وميدانا لتدريب الجنود على القتال ، ولما رحل اليها اتخذ منها نقطة الارتكاز الاساسية للصليبيين تجاه سوريا ومصر .

وقد رأى لويس التاسع وهو يعد لحملته ٠ فى جزيرة قبرص ٠ ان يبحث عن عميل فى الشرق من بين اعداء العرب، يستخدمه في حربه ضد المسلمين فبعث برسله الى المغول يستحثهم ويحفزهم على قتال المسلمين ، كما انتهى رأيه الى

تركيز حملته ضد مصر . لانها كانت فى اتحاد مع سوريا . وكان يعتقد أن مفاتيح أورشليم ليست فى فلسطين ولكنها فى القاهرة وعلى الجملة . فأن لويس التاسع ارتأى أن الحاق الهزيمة بمصر يؤدى الى هزيمة العالم الاسلامى .

ولقد كان للامدادات التى تلقاها من فرنسا وسائر البلاد الغربية . كذلك تأييد بعض مسيحى سوريا وقبرص واليونان عاملا مشجعا للمضى فى غزو مصر .

ولقد بدأ زحفه فى مايو ١٢٤٩م ٠ واستطاع ان يستولى على دمياط وحول مسجد المدينة الى كنيسة ، ثم بدأ الخطوة التالية وهى الاستيلاء على القاهرة قلب العالم الاسلامى النابض ، والام الروحية للعروبة ٠ وسار بجيشه الى المنصورة التى وصلها فى نوفمبر عام ١٢٤٩ م ، وعبر بجيشه نهر النيل ٠٠

ويصف المؤرخ الاوروبى هنرى بورد معركة المنصورة فيقول « ولكن النجاة كتبت لمصر فى تلك المرحلة الدقيقة من حياتها على يد ابطال استطاعوا أن يحولوا مجرى التاريخ ، فصانوا وأمنوا مستقبل شعب كان يهدد ماانتهى اليه أمر حكامه من الضعف والقصور والجبن ، وكان على رأس هؤلاء الأبطال

رجل لم يكن وقتئذ في مكان الصدارة » ،رجل استطاع ان ينقذ المنصورة بل وينقذ الجيش ومصر بأسرها . فقد هب هـذا الرجل يستحث شعب المنصورة ويذكر بامجاده ، ويستثير مواطن العزه فى نفسه كما راح يجمع الكتائب ، ويلهب حماس الشعب وينظم المقاومة ذلك الرجل ، الذى تمكن بقوة ايمانه وعمق وعيه وبحاضر بديهنه وكفايته . من قلب نصر الصليبيين الى هزيمة . ذلك الرجل لم يكن الا الظاهر بيبرس الذى حول سكان المنصورة كلهم الى جنود أشداء ، وأغلق المنازل وجعل من طوابقها العليا مراكز دفاع كانت بحكم ارتفاعها بعيـده المنال . واقام المتاريس وصاح فى الشعب فهب عن يكره ابيه يقاوم الغزاه ،وجعل من المنصورة فخا وقع فيه الصليبين ، فذاقوا مرارة الهزيمة ، وفر منهم نحو فارسكور من فر وأسر من اسر وكان لويس التاسع ملك فرنسا وقائد الحملة فى طليعة الاسرى ، وكان عددهم يزيد عن العشرة آلاف أسير ، ان معركة المنصورة كانت من اهم الاحداث فى تاريخ مصر التى وجدت فى تلك اللحظات الحرجه من بين ابنائها رجالا برره بها . استعذبوا الموت فى سبيلها واستطاعوا ان يشعلوا نارا لوطنيـــة . ويهيجوا تلك الحماسة الطاغية التى جرف تيارها العاتى أقوى ما هدد البلاد من قوات الصليبيين » .

ولما استعاد لويس التاسع حريته بعـد أن دفع الفـدية ، انطلق من سجن المنصورة . ثم غادر البلاد التى هاجمها ليملك منها كل شيء دون ان ينال منها غير حلة منحه السكان اياها ليكسو بها جسمه بعد خروجه من سجنه .

ويقول مؤرخو الغرب وعلى رأسهم المؤرخ جو انفيل الذى رافق لويس التاسع ، ان خلوته فى معتقله بالمنصورة اتاحت له فرصة هادئة ليفكر بعمق فى السياسة التى كان أجدر بالغرب أن يتبعها ازاء العرب والمسلمين . وقد انتهى به هذا التفكـير الى تلك الآراء والمآخذ التى كان أحرى بالغرب أن يتبعهـــا . وضمنها وصيته الشهيرة التى اتخذها الغرب منهجا لسياسته ولعلاقته بالشرق ولقد جاء بها :

أولا ـ تحويل الحملات الصلبية العسكرية الى حملات صلبية سلمية تستهدف الغرض نفسه لا فرق بين الحملتين الا فى نوع السلاح الذى يستخدم فى المعركة وكان سلاح الحملات الجديدة هو الدس بين العرب بعضهم بعضا واثارة الخلافات بينهم والامعان فى التأييد لبعضهم ضد البعض ، وتأمين هذا التأييد اذا دعت الحاجة بمعاهدات ومخالفات ، يمكن نقضها عند الاقتضاء واستغلال ما يكون بين العرب من مناقشات وخلافات استغلالا يمكن الغرب من التمتع بامتيازات سياسية واقتصادية ·

ثانيا ـ تجنيد المبشرين الغربيين فى معركة سلمية والتستر بأسم الدين وذلك لمحاربة القيم والمبادىء الاسلامية ·

ثالثا ـ العمل بكل ما يمكن على تجنيد اكبر عدد من العرب ضعاف النفوس فى تنفيذ سياسة الغرب ·

رابعا ـ العمل على انشاء قاعدة للغرب فى قلب الشرق العربى يتخذها الغرب نقطة ارتكاز له ومركزا لقواته الحربية ولدعوته السياسية ، ومنها يمكن حصار العرب والوثوب عليهم كلما اتيحت الفرصة · ولقد حدد لويس التاسع هذه القاعدة بالاراضى الممتدة على ساحل البحر الابيض من غزه حتى الاسكندرونه ، وتشمل فلسطين والاردن ولبنان واجزاء من سوريا وهو ما تراه الآن متمثلا فى اسرائيل ومخططها فى الاستيلاء على باقى الاجزاء ·

حرب المغول :

كما ان لويس التاسع هو الذى اسهم فى تمويل الغزو المغولى والذى كان يتجه الى أوروبا · فقد حوله لويس التاسع الى الشرق · حيث اقام حلفا معهم ، هدف به غرضين :

أولا : حماية الغرب والكنيسة من زحف المغول على أوروبا·

ثانيا : تحويل هذا الغزو (الزحف) الى البلادة العربية

والاسلامية وافريقيا للقضاء على القوى الوطنية الموجودة بها ٠

ومن اجل هذا فلقد سـافرت بعثة الى ارض المغول فى ديسمبر ١٢٤٤ م ٠ برئاسة البابا ايوسنت الرابع ٠ كما دعا لويس التاسع ملك فرنسا بعض رجال أمير المغول الى فرنسا ، حيث فاوضهم لعقد اتفاقيات عسكرية تنص على أن يقـوم طرفاها بعمليات حربية واسعة ضد العرب والمسلمين يكون دور المغول فيها غزو العراق وتدمير بغدادوالقضاء على الخلافة الاسلامية ٠ ويكون دور الصليبيين حماية هذا الغزو المغـولى من الجيوش المصرية ٠ وتجريد جيوشهم للحيلولة دون نجدة القوات المصرية للعرب فى آسيا ٠ وقد عزز هـذا التحالف بهدايا ثمينة ارسلها لامير المغـول مع الراهب الدومينكى « اندريه دى لونجيو » عام ١٢٤٩ م ٠ كما أن الاميره دوكس

خان زوجة هولاكو زعيم المغول وكانت مسيحية نسطورية ، لعبت دورا خطيرا فى هذا التحالف ٠ ويقول الاسقف دى ، مسنبل نائب مدير البعثات التبشيرية فى روما « لقد كانت الحملة المغولية ضد الاسلام والعرب حملة صـليبية بالمعنى الكامل لها هلل لها الغرب وارتقب الخلاص عـلى يد هـولاكو، وقائده المسيحى كيتبوقا ، ليحقق له القضاء على العرب وهو الهدف الذىفشلت فى تحقيقه الجيوش الصليبية ولم يعد للغرب أمل فى بلوغه الا على أيدى المغول خصوم العرب والمسلمين ٠

وتقدمت القوات المغولية صوب الخلافة الاسـلامية حيث استولتعلى بغداد وقتلت الخليفة المستعصم واشعلت الحرائق فى كل كنوز بغداد وكنائسها ، وخاصة مكتبتها الشهيرة التى كانت تضم اعظم واقيم الكتب العلمية ٠ ثم اتجهت القـوات المغولية الى الشام حيث استولت على جميع المدن السورية ٠ وبعد ذلك اتجهت القوات المغولية للاستيلاء على مصر بقيادة كيتبوقا ٠ وكان الامير قطز على رأس الدولة المصرية متحـالفا هو والظاهر بيبرس البندقدارى لمواجهة هذا الغزو المغولى ٠ وتمكنت قوات الظاهر بيبرس من هزيمة طلائع القوات المغولية ثم تقدمت القوات المصرية بعد ذلك صـوب الجليل ، فنهر

الاردن والتقت مع القوات المغولية فى ٣ سبتمبر ١٢٦٠ م في موقعة عين جالوت • حيث اسفرت المعركة عن هزيمة ساحقة للقوات المغولية ، التى حاولت بعد ذلك العودة للتأر فهزمت مرة أخرى فى موقعة ابلستين عام ١٢٧٧ م على يد الظاهر بيبرس •

ولقد وضع المغول حدا لاستخدام اوروبا لهم بدخولهم الاسلام كما أن السلطان اشرف بن قلاوون استطاع القضاء نهائيا فى عام ١٢٩١ م على أى أثر للوجود الصليبى فى الاراضى العربية •

آثار الحروب الصليبية على أوروبا •

وعلى الرغم من الاثار التدميرية والتخريبية التى احدثتها الحروب الصليبية على البلاد العربية • وعدم تحقيق الاهداف

المباشرة من احتلال المنطقة • الا أن العملاق الحضارى بالشرق الذى قدم للانسانية ويقدم لها كل القيم والمبادىء الانسانية ، لم يبخل بقيمه ومبادئه على الذين حاولوا تدميره ووقف نموه الحضارى • ولذلك فرغم فشل محاولات الغزو هذه الا أن أوروبا استفادت من تلك المحاولات الفاشلة والتى تمثلت فى :

أولا : أدت الحروب الصليبية الى تنشيط التجارة بين أوروبا والشرق مما أدى الى ازدهار الصناعة والزراعة وكان التعامل يتم بالنقود الذهبية المكتوبة باللغة العربية • كما أن الاوروبيون اقتبسوا بعض المزروعات والصناعات ونقلوها الى أوطانهم مثل زراعة الارز وقصب السكر والبطيخ والمشمش والتوت لتربية دودة القز • كما نقلوا صناعة البارود والسكر والاصباغ ، والزجاج الملون والنحاس والورق الذى لعب دورا هاما فى النهضة الاوروبية بعد اختراع الطباعة •

ثانيا : فى الميدان الاجتماعي فقد اقتبس الاوروبيون بعض العادات الاجتماعية العربية التى ادت الى تخفيف حدة

التناقضات والتعصب الديني وخصال اخرى اثرت في تكوين الشخصية الاوروبية ٠

ثالثا : في الميدان العلمي فقد لاحظ الاوروبيون مدى تقدم العرب ٠ وان ذلك يعود الى تقدمهم العلمي ٠ لذلك انكبوا على دراسة اللغة العربية والعلوم المختلفة ونقلوا تراث العرب العلمي الى أوروبا ٠ وانشأوا فيها مدارس لتعليم اللغة العربية ، تمهيدا لنشر العلوم وذلك منذ القرن الثاني عشر كما ادخلت الكتب العربية العلمية في الجامعات الاوروبية ٠ كما أن حركة الكشف الجغرافي كانت من دراسة وتخطيط العرب ٠ **ولا أصدق من قول جوستاف ليون « أن الحروب الصليبية ماهي الا نزاع شديد بين أقوام همج وبين حضارة تعد من أقوى الحضارات التي عرفها التاريخ » وكذلك يقول المؤرخ لود فيج » أن التسامح الاسلامي لم يصدر الا عن روح عالية شع فيها هذا الادب الرفيع وتلك المجاملة التي لا تصنع ولا تعمد فيها ، وقد نقل العرب والمسلمون الى الغرب المبادىء** الاصيلة للمرؤة والشهامة والفروسية ٠فأصبحت تلك المبادىء **الانسانية التي نبتت في الشرق وأدت فيه دورا كبيرا ، تلك المبادىء التي تغنى بها الغرب بعد ذلك مزهوا ، فخورا ،لم تكن الا خلائق العرب أخذها الغرب منهم في حرب معهم ٠**

تنفيذ وصية لويس التاسع :

وبدأ الغرب في تنفيذ وصية لويس التاسع فقد استطاع فرنسوا الاول ملك فرنسا أن يعقد معاهدة مع السلطان سليمان القانوني بمقتضاها تقرر منح امتيازات في الاراضي العثمانية لمصلحة الفرنسيين ثم عمت هذه الامتيازات ، رعايا الدول الاوروبية الذين اصبحوا يؤلفون هيئة مستقلة لا تخضع لنفوذ الدولة العثمانية التي يعيشون على أرضها ولا يمتد اليهم سلطانها ولا تطبق عليهم قوانينها أو يلتزمون بتشريعاتها المختلفة مدنية او جنائية . فأصبحت هذه الامتيازات السلاح الماضي الذى تمكن به الغرب من تفتيت الامبراطورية العثمانية فسلخ عنها الدول التي كان يتألف منها كيانها الكبير .. وبقيت

الامتيازات الاجنبية فى يد الغرب سندا قويا لكل من يعن لـه من ألوان السياسة التى يتخذها حيال الاقليات المسيحية فى الشرق .. وبدأت أساليب الدس ، والخديعة تأخذ طريقها داخل الدولة الاسلامية .

الاطماع الاستعمارية :

وبينما وصية لويس التاسع تطبق فى الشرق كان الصراع على تنفيذ هذه الوصية بدور فى أوروبا .. فلقد كان هنـاك صراعا محتدما بين فرنسا وانجلترا وهولندا واسبانيا والبرتغال ولقد كان العامل الاساسى لهذا الصراع هو احتكار السيطرة على الشرق بثرواته الحضارية والاقتصادية ليكون لبنات فى بناء اوروبا الحديثة لنموها وتقدمها وتطورها ؛ وان تخضـع كل الامكانيات المادية والبشرية بكل ما تحمله من قيم حضارية لخدمة الانسان الاوروبى ، ولو أدى ذلك الى القضاء عـلى القيم الحضارية فى الشرق .. ولقد كان من نتيجة هذه الفلسفة الاوروبية أن اتجهت أوروبا الى استعمار البلاد العربيـة والافريقية والاسيوية والامريكية .. فاتجهت فرنسا بقيادة نابليون لاحتلال مصر فى أوائل القرن السابع عشر .. ولقـد اختار نابليون مصر لانها كما قال لويس التاسع ملك فرنسـا مفتاح الشرق .. وهذا هو الاعتقاد الذى ساد الغرب منذ زمن بعيد فقد سلك الاسكندر الاكبر وبوليوس قيصر من قبل ذلك المسلك وكان جوهر خططهما الحربية أن مصر وسوريا وحدهما هما الطريق الى فتح الباب على مصراعيه للاستيلاء على آسيا وافريقيا . وفشلت حملة نابليون لان الصراع الاوروبى من أجل السيطرة على الشرق قد دفع بريطانيا لان تأخذ موقفا حازما ضد هذا الغزو . فبذلت كل جهودها للقضاء على هذا الغـزو الفرنسى ومحاولة الحلول محله .

روسـيا والشرق :

ان الاطماع العنصرية الروسية هى نفس أطماع الدول الاوروبيـة اتجاه الشرق ولقـد بذلت روسـيا جهـودا عديدة

للسيطرة على الشرق واستغلاله لمصلحتها ومحـــاولة ابعاد دول غرب أوروبا عنه .. ولقد كانت تتذرع أحيانا بأن الجنس الطوراني الذى ينتمى اليه رعايا روسيا المسلمين فى منطقـــة البحر الاسود ووادى نهر الفولجا والتتر فى قازان ، ينتمي اليه أيضـا الشعب التركى . الا ن أهدافها الحقيقية كانت نفس أهداف وروبا من سرقة كنوز الشرق الحضارية والاقتصادية والفكرية من خلال تركيا .. ولذلك فكلما فكرت روســـيا فى الانجاه الى الشرق سارعت أوروبا كلها متحدة لمواجهة هذا التحرك الروسى .. وهذا ما حدث عندما استنجد ســـلطان تركيا بروسيا لمواجهة القوات المصرية التى تقدمت نحـــو الاستانة بقيادة ابراهيم باشا ابن محمد على .. ولقد سارعت روسيا بمساعدة السلطان التركى ودفعت بخمسة عشر للف جندى روسى للاراضى التركية لحماية الاستانة فى عام ١٨٣٣م ثم وقعت روسيا مع سلطان تركيا معاهدة « انكبار سلكيس » فى ٨ يوليو ١٨٣٣م .. وفيها تعهدت روسيا بحماية الباب العالى .. ولقد جن جنون الغرب ، لدخول القوات الروسية الى الاراضى التركية ، وبذلت أقصى جهودها لتحقيق أمرين :

أولا : منع القيصر الروسى من أن يبسط نفوذه على تركيا .

ثانيا :: وقف زحف القوات المصرية عند حد . وبدا صراعا من لون آخر بين روسيا من ناحية وبين دول الغرب من ناحية أخرى بزعامة انجلترا وفرنسا من أجل السيطرة على الشرق بلغ حد التصادم العسكرى ، الا أن النمسا — وهى تـــدرك وحدة الهدف لكلا الطرفين تدخلت ، حيث استطاع الرئيس مترنيخ أن يقرب وجهات النظر وأن يخفف من شـــدة الصراع بينهما ثم اشتركت الدول الاوروبية الكبرى ، روسيا وانجلترا وفرنسا والنمسا للاشراف على تســـوية المشاكل الداخلية بالشرق بين سلطان تركيا وخديوى مصر ، مما يعد تدخـــلا فى الشئون الداخلية للشرق ووصية عليه .

وبنفس الطموح الذى سيطر على عقلية القيصرية الروسية فى تحديها للاطماع الاوروبية ومحاولة تزعم المجتمع الـدولى ، فلقد التقط لينين الروسى أفكار كارل ماركس الالمانى لتـكون

منهج الحزب الشيوعى الروسى . وجمع حولها الطبقة العاملة فى روسيا واندفع بها ليقوض النظام القيصرى فى ١٩١٧ . واذا كانت مشاكل الثورة الداخلية والعمل على تدعيم قواعد الثورة قد حددت جهود لينين من أن تنطلق خارج روسيا . الا أنه بمجرد أن استتبت الامور بدأت روسيا تمارس أسلوبها الذى لا يمكن ان تتخلص منه وهو ان تمـــد نفوذها خارج حدودها واذا كانت الاهداف فى عهد القيصرية هى محـاولة توسيع رقعة القيصرية الروسية واستغلالها ثروات الشعوب الاخرى لخدمة الشعب الروسى . فلقد كانت الاهـــداف بعد استيلاء الحزب الشيوعى على السلطة هى نفس أهـــداف القيصرية ولكن مغلفة فى اطار أيديولوجى بالدعـــوة لنشر المذهب الشيوعى . وابتدات رقعة الدول التى اعتنقت هذا المذهب فى الاتساع .

واذا كانت الحرب العالمية الثانية فرضت نوعا من التعاون بين روسيا ودول الحلفاء فى مواجهة دول المحور — نتيجــة لغدر هتلر بوعوده للروس — الا أنه بمجرد انتهــاء الحرب وانتصار دول الحلفاء . سارع ستالين بفرض ستار حديدى حول الدول الشيوعية حتى يتمــكن من اعادة بنـاء الاتحـاد السوفيتى والدول التى تتبعه ، ليتمكن بعد ذلك من مواجهـــة أوروبا الغربية والولايات المتحدة الامريكية التى بـــرزت فى الحرب العالمية الثانية كقوة عظمى لها وزنها الدولى .

وما ان وجدت القيادة السوفييتية أن الاتحاد السوفيتى قد وصـــل الى درجة من النمو الداخلى تمكنه من مواجهة أى قوة خارجية حتى بدأت تعيد دراسة الاستراتيجية السوفييتية بحيث تسمح لها بالانفتاح على العالم الخارجى ليمارس دوره الـــذى مارسه عبر التاريخ فى مواجهته لدول أوروبا الغربية وقـــد انضمت اليها الولايات المتحدة الامريكيــة . وما الاساليب التى اتبعت للاطاحة بمالنكوف وبولجانين والهجوم على ســـياسة ستالين ومحو كل أثر له الا أسلوبا تكتيكيا يغطى التحـــول الاستراتيجى للسياسة الروسية الجديدة .. وهــــذا ماجاء وأكده المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى والـــذى عقد فى ١٤ أبريل ١٩٥٦ .

وان فكرة السيطرة على الشرق — التى كانت محور الصراع بين دول أوروبا بعضها البعض وبينها وبين روسيا ، ونجاح دول الغرب فى ابعاد روسيا من الوصول الى الشرق — لم تغرب عن بال السياسى الروسى .. بل كانت كل جهوده ، البحث عن كيفية الوصول الى الشرق حيث من الشرق يستطيع الوصول الى أفريقيا وآسيا .

ولقد بذل الغرب جهودا مضنية من أجل عدم السماح لروسيا بالوصول الى الشرق أو حتى الاعتراف بمصالح لها فى المنطقة .

ثم قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى مصر تعبيرا عن المصالح الوطنية المصرية ورفضا للتبعية للاستعمار . ثم قيامها بالدعوة لتصفية الوجود الاستعمارى فى المنطقة العربية وفى افريقيا وآسيا ، وانفتاحها على القوى الدولية . ولقد قامت الثورة فى مرحلة التحول الاستراتيجى فى السياسة الروسية وخروجها من العزلة التى عاشتها فترة حكم ستالين . ولذلك ما أن بادرت القيادة المصرية بالاتصال بروسيا ، حتى وجدت الاخيرة فرصتها للوصول الى الشرق وعن طريق أقوى دولة فيه ، وبدأ الوجود الروسى يتسرب الى المنطقة ، ومنذ عام ١٩٥٥ بدأ تركيز فى تنفيذ السياسة الروسية الجديدة بالانتشار الخارجى من خلال المساعدات الاقتصادية والعسكرية والفنية التى قدمت لمصر . كما أعلنت روسيا تأييدها لحركات النضال الوطنى فى افريقيا وآسيا والبلاد العربية ، ودعوتها لتصفية الاستعمار من تلك المناطق .. ولقد بذل الغرب كل جهده لحصر هذا التسلل الروسى فى المنطقة ومنعه . وأعلن الغرب فى الخمسينات وبداية الستينات رفضه الاعتراف بوجود مصالح لروسيا بالمنطقة .. وكان الغرب يدرك أن مصر هى التى أسهمت فى هذا التسلل الروسى وأنها القادرة على حماية هذا الوجود . والقادرة على تصفيته . ولذلك كان تركيز الغرب على خلخلة النظام الثورى فى مصر . وتزعمت أمريكا هذه المواجهة فى حرب يونيو ١٩٦٧ . وبرغم المواقف المصرية فى مساندة الوجود الروسى بالمنطقة .. وفضل النظام المصرى

على هذا الوجود .. الا أن الروس فى مواجهتهم لحرب يونيو ١٩٦٧ . وترددهم فى هذه المواجهة . بل اشتراكهم فى عملية التخدير والخداع السياسى للقيادة المصرية ليلة هذه الحرب والذى ترتب عليهما ضربة مفاجئة للقوات المصرية من الطيران الاسرائيلى ادت الى نكسة ١٩٦٧ . وفرضا ان الروس لم يشتركوا فى عملية الخداع والغدر هذه . فيكونوا قد خدعوا وغدر بهم ، فاذا كانوا جادين فى الوقوف بجانب المصالح العربية فكان أحرى بهم اتخاذ مواقف ايجابية لمواجهة هذا العدوان وحسمه .. الا أن الواضح أن الروس وزنوا مصالحهم ومصالح العرب ؛ ووجدوا أن مصلحتهم عدم التدخل .. وأن تبقى القوة العربية حيث هى من الضعف وفى حاجة الى العون الروسى .. كما انه فى الجانب الاخر أحس الغرب أنه لم يعد قادرا على اغفال المصالح الروسية بالمنطقة والتى تدعمت فى مجالات متعددة . كما ان الغرب أحس أن من مصلحته . اللقاء مع روسيا فى اقتسام ثروات الشرق .. ولذلك بدأ تقارب فى العلاقات الروسية الغربية والتى انتهت بالوفاق الدولى وبه اعترف الغرب بوجود مصالح لروسيا بالمنطقة .. وهذا ما كانت تسعى اليه روسيا أن يعترف بمصالحها بالمنطقة كتأكيد لوجودها .. ومع التكتيك الجديد للسياسة الروسية فقد خفت حدة التأييد لحركات النضال الوطنى ؛ وتركز تأييدها فى الاطار العقائدى .. واذا كانت حرب أكتوبر ١٩٧٣ — والتى جاءت مفاجأة للسياسة الروسية — فقد غيرت بعض المفاهيم حيال القوة العربية وقدرتها على حماية المنطقة وتحريرها ؛ ورغم أن هذه الحرب كانت بسلاح روسى ؛ استطاع الانسان العربى أن يستخدمه بكفاءة وجدارة . الا أن نتيجة الحرب لم تكن لتسعد القيادة الروسية التى سعت الى وقفها .. ورغم مسارعة الولايات المتحدة الامريكية الى تعويض اسرائيل عن كل ما فقدته فى هذه الحرب وأكثر مما فقدته . الا أن القيادة الروسية لم تعوض مصر عن كل ما فقدته .. وان كانت عوضت سوريا فللاعتبارات الآتية :

١ — فكرية القيادة السورية متمثلة فى حزب البعث السورى .

٢ ـــ موقع سوريا من الحدود الايرانية والتركية واللتين تنتميان الى التكتل الغربى ·· وخلق قوة قوية خلفهما تميل الى التكتل الشيوعى .

٣ ـــ معرفة القيادة الروسية بعدم قدرة سوريا على الدخول فى حرب مع اسرائيل منفردة دون الاعتماد على مصر .

هذا عرض للفكر الروسى حيال الصراع الدائر فى المنطقـــة العربية والتى تمتد آثاره الى دول العالم الثالث .. وستجد دائما أن ترمومتر العلاقات الروسية العربية يتحرك ارتفاعا أو انخفاضا حسب قوة المصالح الروسية بالمنطقة ومحاولتها الحفاظ على هذه المصالح وتدعيمها .. بعيدا عن التصادم مع الغرب · وهكذا نجد روسيا لا تختلف فى نظرتها الى الشرق عن نظرة أوروبا ، وتحكمها نفس الاطماع التى تحكم أوروبا ·

الغـــزو الاوروبى :

ولقد كانت المصالح بالنسبة لمختلف دول الغرب متجانسة أحيانا ، ومتنافرة أحيانا أخـــرى ، الا أن الغـــرب جميعه من الناحية النفسية والمعنوية كانت جهوده متأثرة دائما بالفكرة التى تسلطت عليه منـــذ زمن بعيد والتى أوحت له بالعمـــل الدائب والسيطرة على مصر للحد من نموها وتطورها وأعاقة تقدمها خوفا من ان تتحقق على يدها يوما وحدة العرب وبعث القومية العربية ثم ما يتبع ذلك كله مما يخشـــاه الغرب من قيام تجمع اسلامى جديد يعيد للعرب والمسلمين مجدهم الاول .

ولقـــد كانت مصر ميدانا التقى فيـــه الفرنسى والانجليزى كأعداء ، كمـــا كانت ميدانا قاتل فيه الاثنـــان جنبا الى جنب كحلفاء ، فأن ما قام بين الانجليز والفرنسيين من خصومة أو تحالف كان سببه المباشر مصلحة عابرة ، وان كانت الدولتان بقيتا على اتفاق دائم من حيث الهدف الاخير المراد تحقيقه من غزو مصر ، فما كانت جميع مشروعات الغرب تغزو مصـــر الا تعبيرا عن آمال مشتركة وأمان سيطرت على الغرب الجيـــل

بعد الجيل وتكتل لمختلف قـواه ، فلم تأت هـذه المشروعات نتيجة لحدث عارض ، بل كانت نتيجة لظاهرة طبيعية نشأت عن التطور التاريخى لعلاقات الغـرب بالشرق العـربى والاسلامى ، ويوضح نابليون بونابرت فى مذكراته التى نشرها ديزريه لاكروا تلك السياسة فيقول :

« ان المشروعات لغزو مصر كانت دائما لمصالح كثيرة وكانت تطبيقا لخلاصـة نظريات ومبادىء متعددة يسـودها جميعا الخوف من أن تقوم فى هـذه البقعة من الكرة الارضـية أمة متحدة قوية تستطيع أن تجعـل من مصر مركزا لامبراطورية تسود العـالم كله » .

وبينما نابليون بونابرت فى منفاه وقد خلى الى نفسه بعـد أن تجرد من عوامل الحقد الاوروبى على الشرق وبدت رؤياه صافية الى الشرق ، نجـده يقول فى مذكراته « استيقظى يا مصر وانهضى من سـباتك ، قاومى زحف الرمال عليك ، فالبحر الابيض فى حاجة اليك .. ماأجمل مصر لو أتيح لهـا حاكم صالح ، يحقق لها الاستقرار والرخاء .. فان الخيـال ليسـبح لى فى مشـهد سـاحر ، اذ أرى أ مـة عظيمـة كأمة سيزوستريس والبطالسة ، تنتشر على هذه الارض وبكفهـا الايمن تستند الى الهند ، وبكفها الايسر تستند الى أوربا .. ولو كان مصير الشعب يتحدد بالوضع الجغرافى . فأن القاهرة والاسـكندرية افضل من روما وباريس ولنـدن وامستردام والقسطنطينية لكى تصبحا على رأس العالم بأسره » .

ولم يثن فشل فرنسا فىغزو مصر عن مضيها فى احتلال شمال افريقيا وسوريا ولبنان ، كما احتلت عديد من بلاد غرب افريقيا وبعض بلاد شرق افريقيا .

كذلك خضعت بلاد فى الشرق الاقصى للسيطرة الفرنسية .

أما انجلترا فانها استطاعت أن تحتل مصر عام ١٨٨٢ م . ثم اتجهت الى احتلال أكثر بلاد شرق أفريقيا وجنوبها وبعض بلاد غرب افريقيا كمـا احتلت أغلب بلاد آسـيا فى الشرق الاقصى والهنـد وباكستان .

ولقد بذلت انجلترا جهدا ضخما لتغيير معالم الشخصية المصرية بالإرهاب الفكرى تارة والارهاب العسكرى تارة اخرى . ثم محاولة فرض ثقافتها على الجماهير المصرية . وكانت مصر الوحيده من بين المستعمرات الانجليزية التى رفضت كل هذه المحاولات واحتفظت بشخصيتها التاريخية ، والحضارية . وبقى هذا الشعب شامخا بقيمه وفكره وحضارته . ولقد استطاعت انجلترا ان تجعل من ثقافتها فكرا للدول التى استعمرتها . فأصبحت لغة الهند وباكستان وماليزيا والفلبين وغيرها من الدول الاسيوية هى اللغة الانجليزية . كذلك نيجيريا وغانا وكينيا وزامبيا وتنزانيا وغيرها من الدول الافريقية . نفس المحاولة والاسلوب بالنسبة للدول التى استعمرتها فرنسا . بل أن فرنسا بنت سياستها فى الدول التى استعمرتها على أساس ادماجها فى الشخصية الفرنسية واعتبرتها أقاليم فيما وراء البحار ، امتدادا للاراضى الفرنسية والانجليزية . من لغة وأدب وفكر . وان الدول التى ابتليت بهذين الاستعماريين ، لتجد نفسها فى صراع فكرى داخلى بين محاولة التحرر من هذا الفكر الاستعمارى وايجاد صيغة جديدة للشخصية الوطنية وهذا ما تفعله تنزانيا الان بجعل اللغة السواحلية أساسا للتعبير عن الشخصية التنزانية .

ولقد استطاعت فرنسا ما بين ١٨٨١ — ١٨٩٠ م الاستيلاء على الكونغو والسودان الغربى (مالى) حتى النيجر . واستولت على سوريا ولبنان بعد الحرب العالمية الاولى . ولقد تحقق لفرنسا توسع فى اراضى بلغت مساحتها عام ١٨٨٨ م . سبعة ملايين كيلو متر مربع . ازدادت بعد الحرب العالمية الاولى الى اضعاف هذا الرقم . كما بلغت الفوائد الاقتصادية التى عادت على كل من فرنسا وانجلترا من هذا التوسع حتى عام ١٨٩٠ م . ما قيمته بالنسبة لفرنسا ٥٠ مليون جنيه تضاعف آلاف الاضعاف بعد الحرب العالمية الاولى . وعلى ضوء هذه الارقام فى تلك السنين واستخدام أحدث الاساليب فى نهب واستغلال ثروات تلك البلاد يمكن تقدير الثروة التى استطاعت اوروبا أن تحصل عليها لتحقيق

الازدهار والرفاهية لشعوبها من عرق ودماء وارواح وحقوق ابنـــاء تلك المستعمرات التى كانوا يتشـــدقون برعايتهـــا وحمايتهـــا .

كما سارعت المانيـــا الى احتـــلال بعض مناطق فى القارة الافريقية ، كما احتلت بلجيكا الكونغو ورونداً وبورندى وبعض مناطق على الساحل الشرقى لافريقيا . أما ايطاليا فقد احتلت أثيوبيا وأرتريا وليبيا والصومال ٠ وكانت البرتغال وأسبانيا قد سبقت باحتلال بعض بلاد أمريكا اللاتينية والجزء الجنوبى للقارة الافريقية ومناطق أخرى وأحتلت هولنـــدا أندونســـيا وبعض جزر فى المحيط الهادى .

استيطان القارة الامريكيـــــة :

أما القارة الامريكية وخاصة المناطق الشمالية والتى كانت تسكنها قبائل الهنود الحمر ، فقد واجهت غزوا أوربيا غير من شخصية المنطقة وقضى على كل أثر لوجود السكان الاصليين ولقد استخدم الغزاه كل الوسائل المشروعة للقضاء عـــلى السكان الاصليين وانتزاع أراضيهم وممتلكاتهم .

ولقد بدأ هذا الاستعمار الاستيطانى الاوروبى لامريكا مع بداية القرن السادس عشر ، حيث استطاعت أســـبانيا ان تنشىء لها مستعمرة فى المكسيك عام ١٥٣٣ م . ثم فى فلوريدا عام ١٥٦٥ م ٠ كما بدأ الاستعمار الانجليزى عام ١٠٧٨ م ٠ عندما أصدرت اليصابات تشريعات وقوانين بحق الاســـتيطان فى الاقاليم المكتشفة فى العالم الجديد . وأنتقل الصراع المحتدم بين الدول الاوروبية فى أوروبا وفى المناطق التى استعمرتهـــا الى المستعمرات الجديدة ودارت حروب بين انجلترا وأسبانيا وفرنسا من أجل السيطرة على الاقاليم المكتشفة .

ولقد كان من اثر الصراع الاوروبى بين دول غرب اوروبا ، كذلك مراحل الاضطهاد الدينى والاجتماعى فى أوروبا أن هرب عدد كبير منهم الى العـــالم الجديد حيث شـــكلوا مجموعات متعددة ، أقامت لنفسهـــا مستعمرات فى الاراضى الجديدة ،

بعد طرد سكانها الاصليين من الهنود الحمر . ولقد فرضت على هذه المستعمرات الدولة الام فى أوروبا حمايتها . وبمرور الوقت وزيادة عدد المستعمرات . بدأت تتحدد معالم المستعمرات الجديدة فى شكل مقاطعات ثم فى شكل ولايات ، عملت على طرد السكان الاصليين من الهنود الحمر والاستيلاء على ممتلكاتهم وأراضيهم . ثم بدأ هؤلاء المستوطنين فى جلب الزنوج من أفريقيا لاستغلالهم فى بناء الحياة الجديدة . ولقد تمت الحملة الاولى من الزنوج فى عام ١٦١٩ م . ولقد اقيمت مراكز لهذه التجارة فى ساحل الذهب (غانا) على ساحل افريقيا الغربية . وكذلك فى الكونغو وعلى ساحل افريقيا الشرقية . وكانت هذه التجارة هى تجارة العبيد التى مارستها أوروبا بأساليب عديدة ولم تكن تجارة العبيد محصورة بين افريقيا وأمريكا ، بل أن بعض الاقطاعيين الاوربيين اشتروا بعض هؤلاء الزنوج ليعملوا فى اقطاعياتهم بأوروبا .

ولقد كان الرق من اسس النظام الاقتصادى فى الجاهلية فجاء الاسلام ووضع قواعد تصفيته تدريجيا . وتقدمت أساليب تصفيته داخل المجتمع الاسلامى . وبينما الاسلام يعمل على تصفية الرق ، كانت أوروبا تسهم فى نشره بانشاء مراكز تجمع له فى افريقيا وأوروبا ولقد نشطت الدعاية الاوروبية على لصق تهمة الرق الى العرب لتغطى بذلك ماترتكبه من جرائم ضد الجنس البشرى يجمع الانسان الافريقى وتصديره الى أمريكا كسلعة بشرية للعالم الجديد

ولقد فرضت فرنسا حمايتها على المناطق الشمالية حيث تقع كندا الا ان الانجليز الذين كانوا يسيطرون على بقية الولايات الامريكية . طردوا الفرنسيين عام ١٧٦٠ م . واصبحت كندا مستعمرة انجليزية .

ثم بدأ صراع من لون آخر بين المستوطنين الاوروبيين الذين استوطنوا الولايات الامريكية التى وصل عددها فى هذا الوقت ثلاثة عشر ولاية . وبين القوات الانجليزية بسبب رفض الولايات لقوانين الضرائب التى فرضتها الحكومة

الانجليزية واستمرت هذه الحرب حتى استطاعت قوات الولايات ان تهزم القوات الانجليزية عام ١٧٨١ م . ثم أعلن رسميا استقلال الولايات المتحدة الامريكية فى معاهدة فرنسا فى (صلح باريس) فى ٣ سبتمبر ١٧٨٣ م . وبهذا يتضح ان سكان الولايات المتحدة الامريكية ما هم الا مجموعة الاوربيون الذين نزحوا من اوروبا أما هربا من الاضطهاد الدينى أو الاقطاعى او بحثا عن مصادر جديدة للحياة ، واستطاعوا السيطرة على الاقاليم الجديدة بطرد سكانها الاصليين من الهنود الحمر والاستيلاء على ممتلكاتهم .

اهداف الغزو والاستيطان الاوروبى :

وبهذا يتضح ان اهداف الغزو الاوروبى تتحدد فيما يلى :

أولا ــ قصر موارد الثروة عن الوفاء بمتطلبات التطور والنهضة فى أوروبا ، كان دافعا للبحث عن مصادر أخرى ، فكان لابد من استعمار المناطق التى تزخر بهذه الموارد ، لتكون مادة أولية للنهوض الاوروبى .

ثانيا ــ أدراك أوروبا ان أساس حضارتها ما هو الا ما استطاعت السيطرة عليه من الحضارات الاصلية فى الشرق وفى آسيا ، وان تلك الحضارات هى التى أوجدت نهضة أوروبا سواء كان هذا التأثير ماديا أو خلقيا .

ثالثا ــ ايمان أوروبا بأن اى نهضة فى الشرق وخاصة فى الدول العربية معناه وقف نمو النهضة الاوروبية . وتقدمها . لذلك وجدت أوروبا أنه لزاما عليها أن تعمل بكل امكانياتها لوقف أى نمو حضارى بالمنطقة وذلك بوضع مخطط كامل ، التزمت به الدول الاوروبية كلها وخاصة بريطانيا فرنسا وايطاليا ، ثم واجه الغرب العرب بسياسة متعددة الجوانب ولكنها متفقة فى الهدف فمن الناحية المادية كان المخطط الاستعمارى يهدف الى تفتيت أمة العرب فى جماعات سياسية منعزلة كل منها عن الأخرى حتى وأن كانت فى الأصل وحدة سياسية واحدة فقام الغرب بتفتيت المجموعات

السياسية الاقليمية التى كانت قائمة فعلا بين العرب ، وكانت تخضع لمستعمر واحد . وقد بدأ التطبيق العملى لهذه السياسة الاستعمارية كأوضح ما يكون فى سوريا ولبنان والعراق وشبه الجزيرة العربية ومصر والسودان وشمال أفريقيا وغربها . وكان فى تطبيقه حريصا على القضاء على الوحدة المادية والسياسية والتاريخية التى كانت قائمة فعلا بينها .

ولم يكتف فى هذا الشأن بعزل العرب بعضهم عن بعض بل عمل كذلك على فصل المسلمين بعضهم عن بعض . كما أنه لم يكتف بالغزو المعنوى والغزو النفسى الذى كان دوره أضعاف الوعى الوطنى وقتل الشعور به .

وفى هذا المخطط الاستعمارى يقول الماريشال ليوتى « انه على الغرب أن يجعل العربى المراكشى اجنبيا عن العربى الجزائرى ، اجنبيا عن العربى التونسى وعن العربى الليبى ، والعربى العراقى » بل ان الماريشال ليوتى فى هذا الشأن قد ذهب الى أبعد من ذلك فنادى بضرورة خلق جنسيات جديدة بين العرب تتميز بالخلاف فى المذاهب وتطويرها بحيث تحول العرب من القومية العربية والرابطة الاسلامية الى طوائف اسلامية متنافرة متخاصمة .

كما بنه ليوتى الغرب الى الخطر الكامن فى خضوع مجموعة من البلاد العربية تحت سيطرة وحكم دولة عربية واحدة وبالذات فى أى بقعة من آسيا وأفريقيا . لان وحدة الاستعمار قد تكون بدورها وسيلة تؤلف بين قلوب المستعمرين وتمكنهم من تحقيق وحدة بينهم فى ظل هذا المستعمر الواحد . وفى نفس الوقت حذر الغرب من الاتجاه الى الوسائل العسكرية العنيفة ، بل أنه نصح بالعمل السياسى لان العنف فى رأيه يفض حتما الى المقاومة التى من شأنها أن تكون مصدرا يمد العرب بالقوة حتى لاينتهى أمرهم الى الفناء . وكان ليوتى فى هذا يلتزم بوصية لويس التاسع .

وفى هذا الاطار من التفكير الاوروبى واسترشادا بوصية لويس التاسع ملك فرنسا ، كان تشجيع كل ما يؤدى الى وقف النمو الحضارى فى الشرق وضرب أى مفهوم وحدوى فى

المنطقة . بل ان أوروبا وقد انطلقت من موقعهـــا الجغرافى لمواقع أخرى تجد فيها موردا صالحا ومستمرا لتغذية النمو والتقدم فى اوربا . نجدها اخنطت خطين كبيرين :

أولهما : خط الهجرة الى أماكن تستوطن فيها وتعتبر امتدادا لاوروبا فيما وراء البحار ، كما وجدت فى امريكا وكندا والجزء الجنوبى فى أفريقيا وروديسيا والمستعمرات البرتغالية .

ثانيهما : خط السيطرة والاستعمار لمواقع أخرى تجـــــد صعوبة فى استيطانها كما حدث فى حالات الاستعمار فى بقية انحـــاء العـــالم .

ولقد عصر الاوروبى تفكيره بحثا عن أسلوب يضرب بـــه الموقع الاساسى للحضارة . والذى يعتقد فى فترات صراعه المستمر انه بضرب هذا الموقع والتحكم فيه سوف تدين لـــه الدنيا بامكانياتها ، وقدراتها . هذا الموقع هو الشرق . ولذلك كانت كل محاولات أوروبا عبر التاريخ تنطلق من اعتقادها بأن فى السيطرة على مصر يسهل السيطرة على آسيا وافريقيا . كما ان نجاح فصل آسيا عن أفريقيا يسهل عملية ضرب مصر والسيطرة عليها . وهـــذا الفصـــل لن يتأتى الا بزرع جسم غريب بين القارتين .

المشـــكلة اليهودية والشرق

لقد كانت آساليب الابتزاز والخديعة والخيانة النى مارسبا اليهود فى علاقاتهم بالمواطنين فى أوروبا . وسيطرتهم عـلى مصادر الثروة والتحكم فيها واستغلالها . عاملا مؤثرا على علاقاتهم بمواطنى أوروبا ، ترك شعورا بالكراهية ضدهم . حتى أن بعض الولايات الاوروبية خاصة فى المانيا والولايات الجنوبية بأمريكا ، حرموا على اليهــود دخــول ولاياتهم . وأختلفت أساليب التعامل معهم ، وكـــان اقساها ما فعلته النازية بالقضاء الجماعى عليهم . ولم يكن هذا الا رد فعل لما فعلوه نحو شعوب المنطقة .

ولقد وجدت أوروبا ، فى الدعوة لوطن قومى لليهود فرصة للتخلص منهم بأسلوب لاتتهم فيه بمعاداة اليهود أو بالقضاء عليهم . وشجعت هجرة اليهــود من البــلاد الاوروبية الى فلسطين ، وساهمت مساهمة ايجابية وفعالة فى تنظيم عمليات الهجرة ، التى بدأت تتخذ شكلا منظما بعد مؤتمر بال ١٨٩٧م

ولقد حققت أوروبا هدفين رئيســيين من دفع اليهـــود الاوروبيين الى الهجرة الى فلسطين :

أولهما : التخلص من اليهود الاوربيون وما مثلوه من صورة للجشع والابتزاز جعل المواطن الاوروبى ، ينتظر اللحظة التى يتخلص فيهـا منهم .

ثانيهما : استخدامهم لتحقيق هدف أوروبا بتمزيق الشرق وزرع جسيم غريب بين آسيا وافريقيا وضرب الوحدةالعربية، وخلق قاعدة قوية تتحرك بها أوربا لتنفيذ أهدافها .

ولقد كان اليهود يدركون هذه الحقيقة . ولذلك فقد حولوا علاقة أوروبا بهم من مطرودين الى مهاجرين مرتبطين بالوطن الام الذى هاجروا منه . واتخذوا من عقدة الذنب وسيلة للابتزاز من أولئك الذين جاهروا بمعاداتهم وملاحقة آى أوروبى يعلن رأيه الصريح فيهم . وأتهامه بالنازية والقضاء عليه . كما اتخذوا من شعار معاداة السامية شعارا آخر لكل من يهاجمهم . وحوروا معنى معاداة السامية . فأصبح يستخدم طبقا لخطط مرحلية ولم يعد معني عنصرياعصريا حتى ان هناك بعض اليهود قد اتهموا بمعاداة السامية .

ولقد كان النداء الذى وجهه شبتاى زفى — وهو يهودى ادعى النبوة — الى فلسطين كوطن لليهود ، مدخلا تنطلق منه الافكار الاوربية لتحقيق أهدافها فى الشرق بزرع الجسم الغريب ، ولذلك فقد نشط اليهود الاوروبيين لتعميق هذا المطلب اليهودى ، فقد وجه العالم اليهودى جوزيف برستل عام ١٧٩٩ م . رسالة الى اليهود بالعمل الجاد من أجل الوصول الى فلسطين . كما نشر العالم البريطانى اليهودى جيمس بيثينسو عام ١٨٠٠ م . كتابا تحت علوان « أرجاع اليهود أزمة جميع الامم » طالبا بريطانيا بأن تطلب من الباب العالى فى القسطنطينية بأن تتنازل الدولة العثمانية عن فلسطين الى اليهود وبدأت حركة سريعة وغريبة ومكثفة فى أوروبا لخلق اتصال بين اليهود فى أوربا ودفعهم لانماء الحركة اليهودية . وبدأ المسئولون البريطانيون يزكون هذه الروح . وفى عام ١٨٣٦ وجه كاليشر رسالة الى رئيس فرع برلين لبنك روتشيلد حيث اقترح برنامجا للاستعمار فى فلسطين على الطريقة الاوروبية المعروفة الشركة التجارية التى تستعمر فى الخارج ويشرح موسى هس هذه الفكرة بقوله « وكما بحثنا سابقا باتجاه الغرب عن طريق الهند ، فأكتشفنا عالما جديدا بالصدفة كذلك سنكتشف بلاد أجدادنا الضائعة ثانية . على الطريق التى تبنى حاليا فى الشرق الى الهند والضين » ويوجه حديثه لليهود الرأسماليين فيقول : « وسيعيد رأسمالكم الحياة للارض القاحلة ، وسيحول عملكم وجهدكم مرة أخرى التربة القديمة الى وديان مثمرة ، بعد أن تنقذوا الارض من براثن

رمال الصحراء الممتدة .. بعد ذلك سوف يقدم لكم العالم من جديد آيات الولاء والاحترام » .

وفى عام ١٨٤٠ م . بعث الوزير البريطانى بالمرستون الى سفير بريطانيا فى تركيا بمطالبته آن يتصل بالسلطان للسماح لليهود بالاستيطان فى فلسطين كما صدر فى عام ١٨٤٥ م كتابا تحت عنوان « نداء باسم الامة اليهودية » ولقد جاء فيه « ان البلاد اذا ما قورنت بمساحتها تبدو وضئيلة السكان حاليا . الا أن الضغط الذى يولده ادخال هذا العدد الهائل من

الغرباء ، وأقحامهم على السكان الاصليين قد تترتب عليه نتائج مؤذية . لذا يستحسن قبل القيام بمحاولة للاستيطان أن يتم ذلك باستمالة الحكومة العثمانية نحو اعتماد خطة انحسار السكان المحمدين وتقهقرهم صوب تلك المناطق الشاسعة والمعروفة جزئيا فى آسيا الصغرى .

ثم صدرت كتب أخرى عديدة لتقوية هذا الدافع والتمهيد لزرع الجسم الغريب بين آسيا وأفريقيا تمتد أثاره الى :

أولا : فصل القارتين وتشتيت قوتهما .

ثانيهما : ضرب مصر واضعافها باعتبارها قاعدة الانطلاق الحضارى والانسانى فى المنطقة .

حتى أن تيودور هرتزل الذى يرجع اليه الفضل فى توجيه الحركة الصهيونية وتوحيد اليهود ، لم يركز فى بدأ حركته على أن تكون فلسطين دولة لليهود . ففى رسالته الى روتشلد — عصب الحركة اليهودية المادى — فى ١٥ يونيو ١٨٩٥ يقول ان أرض اليهود الجديدة يجب أن تستكشف وتستخدم بجميع الوسائل الحديثة وعندما يقرر علماؤنا الجغرافيين البقعة التى سنأخذها وبعد أن تتم معاملات الشراء وعقوده الدولية والخاصة سنسير سفينة الى ذلك المكان لنتسلم الارض .

وفى كتابه عن الدولة اليهودية عام ١٨٩٥ م. أثار تيودور هرتزل التساؤل التالى ، هل ستكون الدولة فى فلسطين أم فى الأرجنتين ، وقال أن الجمعية هى التى ستحدد ذلك . ثم

قال أن الارجنتين من أخصب بقاع العالم . ومساحتها كبيرة وتعداد سكانها ضئيل وجوها معتدل . ولا شك أن جمهورية الأرجنتين ستجنى مكاسب هائلة من وراء اعطائنا قطعة من الأرض . أما فلسطين فلها ذكريات تاريخية وان مجرد ذكر اسم فلسطين يثير شعبنا ويحفزه . واذا ما وافق السلطان العثمانى على اعطائنا فلسطين فاننا مقابل ذلك سنتعهد بتنظيم الاحوال المالية لتركيا وسنعمل على أن نظل مرتبطين بكل أوروبا التى ستضمن بقاءنا وستقوم الشركة اليهودية بتنظيم الشئون التجارية والمالية للدولة الجديدة .

كما أن بعض زعماء اليهود قد اقترحوا أن تكون أوغندا وطنا قوميا لليهود الا أن ساسة أوروبا ، أزعجهم أن يجدوا تفكيرا يطرح وطنا قوميا لليهود غير فلسطين . ولذلك فقد ساهمت وسهلت أوروبا فى عقد أول مؤتمر لليهود فى بال فى أغسطس ١٨٩٧م. حيث أكدالمؤتمر الاتجاه بأن تكون فلسطين دولة المستقبل لليهود . ولقد أوصى مؤتمر بال بما يأتى :

أولا : تشجيع الاستعمار اليهودى لفلسطين بطريقة منظمة .

ثانيا : تنظيم الحركة اليهودية واتحاد الهيئات المتفرقة فىشتى أنحاء العالم .

ثالثا : ايقاظ الوعى اليهودى .

رابعا : القيام بمساعى لدى مختلف الحكومات للحصول على موافقتها على أهداف الحركة الصهيونية .

وفى لقاء بين تشمبرلن وهرتزل عام ١٩٠٣م. نوقش موضوع أوغندا مرة أخرى كوطن قومى لليهود الا انهما اتفقا على قيام بنك الاستيطان اليهودى والحكومة البريطانية بتنسيق اقامة استيطان يهودى فى شرق افريقيا وقد ارسل تشمبرلن خطابا بهذا المعنى الى المؤتمر الصهيونى السادس .

ولابد من الملاحظة هنا أن الادوات والوسائل التى فكر الصهيونيون بها ومن ثم استخدموها بفعالية كبيرة فى استعمار فلسطين لم تكن جديدة أو مبتكرة ولم تكن من

خيـال شـيطاني ماكر يتمتع به اليهود · كمـا يحب العـرب أن يظنوا · بل كانت كلهـا أدوات ووسـائل عادية جـدا حتى درجه الابتـذال من كثرتها في المجتمع الرأسمالي الاستغلال · وأدوات الدول الاستمارية الكبرى : شركات بنوك ، مؤسسات مالية ، مستوطنات الخ ·· لذلك صنعت الصهيونية لنفسها « صناديق الائتمان والاستعمار اليهودية » . « الصندوق القومي اليهـودي » . شركاتها المساهمة . مصارفها الكبيرة ، وكان مثلها الاعلى في كل ذلك هو « شركة الهند الشرقية » ودورها في استـعمار الهنـد وجنوب شرقي آسيا · من هذه الناحيه لم تأت الصهيونية بأي جديد · بل استخدمت هذه الادوات تماما · كما كانت تستخدمها بريطانيا والمانيا · وكما تسـتخدمها الولايات المتحدة » في يومنا الحاضر · حتى ان الرئيس ترومان وصف « الصندوق القومي اليهـودي » بأنه مشروع النقطه الرابعة الأمريكية ، وكأنها صنعت قبل خمسين عاما · بعبارة اخرى توصـلت البرجوازية اليهودية المتوسـطه الى تحقيق أهداف الحركة الصـهيونية عن طريق تحالف مصـلحي متبادل مع البرجوزية المتمثله في الرأسمال اليهودى الكبير وبيوتاته الماليه ومع مصالح الدول الرأسـمالية في عصر الاحتكارات الكبيرة وعصر السياسة الاسـتعمارية المنفلته من عقالها وقد أتى على ذكر هذه الحقيقة الكاتب الاسرائيلي المعاصر يورى افنيرى حيث قال : « كان هرتزل يقتفي بذلك خطى سيسيل رودس ، يود الحصـول عـلى ميثاق لتأسيس المركز القـومى (أى الدولة اليهودية) الذى كان يتصـوره كشركة ذات ميثاق ، قائمة وفق النموذج الذى عممه الاستعمار البريطاني ؟ ويبدو واضحا ان مشاريع الصهيونية في الاستيلاء على فلسطين لم تكن الا نقلا حرفيا وأمينا لامثـال هـذه المشروعات الاوروبيـة الاستعمارية الرائجة في تلك الحقبه · ونجد تعبيرا نموذجيا للارتباط العضوى والطويل بين المصالح الحيوية لكل من الحركة الصـهيونية والاسـتعمار البريطاني في الشرق الاوسط في كتابات وايزمان نفسه فيقول على سبيل المثال « ترتكز خططى بالطبع عـلى اقتراض جوهرى واحد · بأن الحلفاء سـوف

يكسبون الحرب ـ ويكسبونها جيدا ـ كما أتمنى وامل ذلك مخلصا ·· ولا يساورني شك بأن فلسطين سوف تقع ضمن دائرة النفوذ البريطاني · وفلسطين هي الامتداد الطبيعي لمصر والجدار الذي يفصل قناة السويس عن البحر الاسود وكل عمل عدائي قد يصدر عن تلك الجهة ·· سوف تصبح فلسطين بلجيكية الآسيوية · خصوصا متى جرى تطويرها على يد اليهود · ولو اعطينا أموالا جيده الى حد ما ، لاستطعنا بسهولة أن ننقل مليونا من اليهود الى فلسطين خلال الخمسين أو الستين سنة القادمة · وبذلك تحصل انجلترا على جدار فعال ونحصل على وطن ! هذا من وجهة النظر الصهيونية ·
أما وجهة النظر البريطانية السابقة عليها والمكملة لها فسأمثل عليها بايراد الفقره التالية من كتاب المعلق العسكري لجريدة « المانشستر جارديان » سايد بوتام ، وكان صاحب نفوذ كبير في الاوساط الحاكمة البريطانية كما كان على اتصال وثيق بالقيادات الصهيونية · وكان يبدى اهتمامه بالحركة الصهيونية من وجهة نظر مصالح الامبراطورية الانجليزية حيث يقول : لابد من اسكان شعب في الرقعة الجديدة يتمتع بالمرحلة نفسها من التطور السياسي الذي بلغناه ، كما ان زيادة مساحة تلك الرقعة لن تشكل عبئا علينا (الانجليز) بل هي كناية عن مصدر جديد من مصادر القوة ، يضاف الى قوتنا ، ثم يؤكد بصورة حازمة أنه حين تصبح فلسطين جزءا من الامبراطورية البريطانية ، فلن يجيء الى استعمارها اولئك الانجليز الذين عمروا كندا واستراليا بالمعنى الحقيقي · بل اليهود وحدهم هم الذين يمكنهم استعمار فلسطين ·· وهم الذين وحدهم يستطيعون بناء مملكة دومينيون مستقلة جديدة على البحر الابيض المتوسط ترتبط بهذه البلاد منذ البداية في العمل الامبريالي ، وتكون في آن واحد : وقاية ضد الشرق ووسيطا بينه وبيننا ، ومدنية تتميز عن مدنيتنا لكنها متشربه بأفكارنا السياسية ، تقف في المرحلة نفسها من التطور السياسي ، وتدشن حياتها الثانية كأمة تكن الوفاء وعرفان الجميل لهذه البلاد (بريطانيا) بأعتبارها الأب الثاني لها » ·

ولم تشذ الحركة الصهيونية عن هذا المنطق أو عن أى من الاعتبارات التى أوردتها اعلاه · ويمكننا الاشارة هنـــا الى تصريح نموذجى لجابو تنسكى ، يعكس المناخ الاســتعمارى العام الذى وصلت اليه الرأسمالية والصهيونية نفسها بطبيعة الحال « بالطبع ان موقفنا من القضايا الاجتماعية مختلف : فهو ليس الى اليمين ولا الى اليسار ، بل هو استعمارى متصلب »

مؤتمـــر لنـــدن :

وفى عـام ١٩٠٥ م عقـد مؤتمر فى لندن دعا اليه حـزب المحافظين البريطانى · ولقد بدأ المؤتمر سرا واســتمر لمدة عامين ، واشتركت فيه لجنة من كبار علماء التاريخ والاجتماع والزراعة والبترول والجغـرافيا والاقتصـــاد ، تمثـل كـل الامبراطوريات الاستعمارية القائمة انذاك · ومن اعضـــائها البروفيســور جيمس مؤلـف كتـاب (زوال الامبراطـورية الرومانية) ولوى مادلين مؤلف كتاب (نشء وزوال امبراطورية نابليون) والبروفسور ليستر ولسنج ، وكبار علماء اوروبا مثل سميث ودترنج وزهروف من روسيا · والشخصيات التى حضرت للمؤتمر وقيمتها العلمية والاجتماعية بالنسبة لاوربا لتعطى دلالة على خطورة المؤتمر وخطورة المهمة التى انعقد من أجلهـا ·

ولقد اختتم المؤتمر اعماله فى عام ١٩٠٧ م · حيث قدم توصياته العـاجلة لرئيس الوزراء البريطانى كامبـل بترمان زعيم حزب الاحرار وقد أكد المؤتمرون « **ان اقامة حاجز بشرى وقوى وغريب على الجسر البرى الذى يربط أوروبا بالعـــالم القديم ويربطهما معا بالبحر الابيض المتوسط بحيث يشـكل فى هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة عدوه لشعب المنطقة صديقه للدول الاوروبية ومصـــالحها · هو التنفيذ العملى العاجل للوسائل والسبل المقترحة وان هذه الوســائل والسبل المقترحة ما هى الا كيفيــة البحث عن الســـبل والوسائل للسيطرة على الشرق واخضاعه لمشيئة أوروبا ·**

وأيضا انعقد هذا المؤتمر على ضوء وصية لويس التاسع ملك فرنسا وما يجب ان تفعله أوروبا مع الشرق .

ولقد كشف هذا المؤتمر القناع عن اهداف اوربا وما تسعى اليه من تفتيت وحدة المنطقة وزرع كيان غريب . يمكنها من تحقيق اغراضها وفرض سيطرة كاملة على آسيا وافريقيا من خلال سيطرتها على فلسطين ومصر . ولقد جاء هذا المؤتمر بعد التنسيق الذى حدث بين الدول الاستعمارية فى برلين عام ١٨٧٩ م . وبعد اتفاق بريطانيا وفرنسا عام ١٩٠٤ م . ولخطورة هذا المؤتمر فقد بدأ سرا واستغرق عامين ثم اعلنت نتائجه ومن بينها ما سبق ذكره من فصل المشرق العربى عن المغرب العربى ، بزرع جسم غريب فى المنطقة كما يترتب عليه أيضا فصل أفريقيا عن آسيا . وهذا تأكيدا واضح للنوايا الاوروبية حيال الشرق . ثم اتفقت فرنسا وانجلترا فى معاهدة سايكس بيكو عام ١٩١٦ م . على تقسيم المشرق العربى بينهما حيث استعمرت فرنسا كل من سوريا ولبنان واستعمرت انجلترا باقى اجزاء المشرق العربى .

وعد بلفورد .

ولغلق الباب على اى اجتهادات فى موقع الدولة اليهودية ومن اجل ان يكون الامر واضحا ورسميا فقد سارعت بريطانيا وهى الدولة المستعمرة باصدار تصريح رسمى على لسان وزير خارجيتها أرثر بلفورد فى نوفمبر ١٩١٧ م . على شكل رسالة للزعيم الصهيونى البريطانى اللورد روتشلد . هذا نصها :

وزارة الخارجية البريطانية .

فى الثانى من نوفمبر ١٩١٧ .

عزيزى اللورد روتشلد :

يسرنى جدا ان ابلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته التصريح التالى الذى ينطوى على العطف على أمانى اليهود والصهيونية ،

وقد عرض على الوزارة واقرته ، ان حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين ، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على أن يفهم جليا انه لن يؤتى بعمل من شأنه ان ينقص من الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الاخرى ٠ وسأكون ممتنااذا احطتم الاتحاد الصهيونى بهذا التصريح ٠

المخلص

آرثر بلفورد

وبهذا تكون انجلترا عملت على تنفيذ قرارات مؤتمر لندن عام ١٩٠٥ باقامة جسم غريب فى المنطقة ٠

تفكير الغرب من خلال رسالة الكولونيل مايترتز هاجن ٠

اذا كان الكونونيلماينرتزهاجن (السكرتير العسكرى للورد اللنبى) قد كلف بكتابة مذكرة عن وضع سيناء فان ما كتبه لم يكن الا انعكاسا للفكر السياسى الاوربى اتجاه المنطقة وعلاقة اوروبا بها ٠

فقد بعث بمذكرة الى رئيس وزراء بريطانيا لويد جورج فى ١٩٢٠ جاء بها ٠

عزيزى رئيس الحكومة ٠

طلب منى أن أرسل اليك مذكرة غير رسمية عن السيادة على سيناء وهو موضوع له أهمية عندى بصورة خاصة ، لا بالنسبة الى الظروف الراهنة فحسب بل بالنسبة الى السنوات القادمة ايضا ، اسمحوا لى بتناول هذا البحث باسهاب ٠ اننا نسير بحكمة زائدة ٠ مستهدفين السماح لليهود بانشاء وطنهم القومى فى فلسطين ، فقد حررنا العرب من النير التركى ولن نستطيع البقاء فى مصر للابد ٠ وقد تمخض مؤتمر الصلح عن وليدين ٠ القومية اليهودية والقومية

العربية • وشتان بينهما فالاول يمتاز بحيويته ونشاطه على حين يمتاز الثاني بكسلة وخموله المكتسبين من الصحراء •

أضف الى ذلك ان اليهود بالرغم من تشتتهم يمتازون بولائهم ورقة شعورهم وعلمهم • كما انهم قدموا لبريطانيا احد رؤساء حكوماتها ، المتازين وسيلتصق العرب واليهود من الآن والى خمسين سنة بقوميتهم وسوف يزدهر الوطن القومي اليهودي ان عاجلا أو آجلا • ويصل الى مرحلة السيادة واني افهم ان بعض اعضاء حكومة جلالته يتطلعون الى هذه المرحلة •

وكذلك ستتطور القوميةالعربية الى مرحلة المناداة بالسيادة من المحيط الى الخليج • ومما لا شك فيه ان السيادة العربية واليهودية سيصطدمان واذا قدر لمشروع الهجرة اليهودية الى فلسطين النجاح فان الصهيونية ستتوسع على حساب العرب دون سواهم • وسيبذل العرب قصارى جهدهم للقضاء على قوة وعظمة فلسطين اليهودية وهذا يعني سفك الدماء •

وبريطانيا تتحكم الآن في الشرق الاوسط ، ونحن لا نستطيع ان نكون أصدقاء للعرب واليهود في آن واحد ، واني أقترح منح الصداقة البريطانية لليهود وحدهم ، بتقدير أنهم الشعب الذى سيكون صديقنا المخلص والموالي في المستقبل • وان اليهود مدينون لنا كثيرا وهم يحفظون لنا هذا الجميل وسيكونون ثروة لنا بعكس العرب الذين سيكونون سلبيين معنا برغم خدماتنا لهم • وسوف تكون فلسطين حجر الزاوية في الشرق الاوسط • فبينما تحدها الصحراء من جهة يحدها البحر من جهة اخرى • ولها ميناء طبيعي ممتاز هو احسن ميناء على ساحل البحر الابيض المتوسط الشرقي • ثم ان اليهود برهنوا على كفايتهم الحربية منذ أحتل الرومان البلاد على حين يمتاز العربي بقسوته في الحرب • وحبه للسلب والتدمير والقتل • والآن دعني اتكلم عن فلسطين بالنسبة لمصر • ففي حالة تطور السلاح من طائرات ودبابات سيكون الفضل في المعركة للسلاح الاحدث والشجاعة وقوة الاعصاب والصبر • ولذلك فاني ارى في مصر العدو المسلح لليهود وبتطور القوميتين العربية واليهودية

الى مرحلة السيادة وبخسارتنا قناة السويس عام ١٩٦٨ م ٠ (أممت عام ١٩٥٦) أي بعد ٤٧ سنة ، فأن بريطانيا ستخسر مركزها في الشرق الاوسط ٠ ولتقوية هذا المركز فاني اقترح ضم سيناء الى فلسطين ٠ فقبل عام ١٩٠٦ م كان الحد التركى المصرى ممتدا من رفح فى الشمال الى قرب قناة السويس ٠ وكان شرقى سيناء وجنوبها من الحجاز الخاضع للعثمانيين ٠ وفى تشرين الاول عام ١٩٠٦ م منحت مصر حق ادارة سيناء حتى الخط الممتد من رفح الى رأس خليج العقبة ٠ اما ملكيتها فبقيت لتركيا وقد احتلها اللورد اللنبى بجيشه البريطانى دون مساعدة الجيش المصرى فاصبح مصيرها منوطا بقرار من الحكومة البريطانية المحتلة وفى حالة ضم سيناء الينا فأننا نربح حدا فاصلا بين مصر وفلسطين ٠ ونثبت لبريطانيا مركزا قويا فى الشرق الاوسط مع اتصال سهل بالبحرين الأبيض والاحمر ٠ وقاعدة استراتيجية واسعة النطاق مع ميناء حيفا الممتاز الذى سنستعمله بموافقة اليهود ٠ ومن حسنات هذا الضم انه سيحبط اية محاولات مصرية لاغلاق القناة فى وجه ملاحتنا ٠، كما سيمكننا من حفر قناة تربط بين البحرين الابيض المتوسط والاحمر ٠ ثم ان ضم سيناء لن يثير قضية قومية ضدنا ٠ اذ ان البدو الرحل المقيمين فيها لايتجاوز بضعة آلاف ٠ »

تلك صورة للتفكير الاوربى عبر هذه الرسالة اوردتها كاملة تأكيدا لهذا الاتجاه السياسى فى أوربا اتجاه الشرق والمخاوف التى كانت تسيطر على تفكير ساسة أوروبا من مستقبل الشرق ونهضته ، والبحث عن كل الوسائل والطرق لاظلام هذا المستقبل وعرقلة نهوضه ٠ كما ان محاولات اسرائيل فى حرب ١٩٥٦ للوصول الى الضفة الشرقية لقناة السويس واعلان بن جورين ضم سيناء الى الدولة اليهودية ٠ وفشل هذا التخطيط ٠ ثم محاولتها مرة اخرى فى حرب ١٩٦٧ كذلك تفكيرها ودراستها لانشاء قناة بين ايلات على خليج العقبة وميناء أسدود على البحر الابيض المتوسط ٠ كل هذه الافكار هى التى عبر عنها الكولونيل ماينر تزهاجن فى رسالته التى تعرض للتفكير الاوروبى حيال هذه القضية ٠

الفكر العربى والقضية الفلسطينية

لقد طرحت القضية الفلسطينية نفسها على العالم العربى . وبدأ العرب يدركون خطورة المخطط الاوربى الـذى تحددت معاملة . وبدأ صراع داخـل الوطن العربى نفسه . وبين الذين يحسون برياح عاصفة تهب عـلى الوطن العربى قد تجرف فى طريقها الاخضر واليابس . وتحطم الامل العربى فى غد مشرق تسعى اليه الامة العربية . وبين العملاء الذين نجحت القوى الاستعمارية فى حجب رؤياهم ، واستغلتهم للسير بالمخطط الاستعمارى نحو تحقيق اهدافه .

ولقد تبودلت المكاتبات الرسمية بين السير مكماهون والشريف حسين أمير مكة فى الفترة من ١٤ يوليو ١٩١٥ حتى ١٠ مارس ١٩١٦ . ولقد دارت كل هذه المكاتبات حول مطالبة شريف مكة باراضى الشام والعراق ووقوفه مع الحلفاء فى حربهم ضد المانيا . أما القضية الخطيرة التى هزت الكيان العربى وهى قضية فلسطين واعطائها لليهود فلم يتعرض لها شريف مكة . وبدأت القيادات العربية تدرك خطورة الموقف فى فلسطين ، وحدثت اتصالات متعددة بينها من أجل التنسيق العربى . ولقد دارت اتصالات عديدة بين القيادات العربية والحكومة البريطانية باعتبارها دولة الانتداب كما عقد مؤتمر فلسطين فى لندن عام ١٩٣٩ لبحث الرسائل المتبادلة بين شريف مكة والسير مكماهون لتحديد المناطق التى طالب بها شريف مكه ولم يصل المؤتمر لتحقيق شىء .

ومن ناحية اخرى نجد ان مؤتمرات الهيئات البريطانية

البرلمانية لحزب العمال البريطاني عام ١٩٣٩ م • ومؤتمر الحزب في عام ١٩٤٣ أصدرت قرارات دعت كلها الى تدعيم وزيادة الهجرة اليهودية الى فلسطين وعدم فرض قيود على الهجرة •

كما جاء في تصريح صحفي رسمي للرئيس فرانفكلين روزفلت رئيس الولايات المتحدة الامريكية في ١٦ مارس ١٩٤٤ « ان الرئيس سعيد لان ابواب فلسطين مفتحة اليوم امام اللاجئين اليهود • وعندما يتم (الوصول الى قرارات فسوف ينصف أولئك الذين ينشدون وطنا قوميا لليهود ، وهو ما كانت نشعر نحوه . حكومتنا والشعب الامريكي بالعطف العميق •
وفي نفس الاتجاه صدرت قرارات مؤتمر الحزب الجمهوري الوطني في ٢٧ يونيو ١٩٤٤ قرارات الحزب الديمقراطي في ٢٢ يوليو ١٩٤٤ •

ولقد كانت في الرسالة التي بعث بها جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود للرئيس روزفلت بتاريخ ٢٠ مارس ١٩٤٥ شرحا وافيا وتاريخيا للقضية الفلسطينية ولاهمية هذه الرسالة فأننا نوردها بأكملها :

رسالة الملك عبد العزيز آل سعود للرئيس روز فلت

من عبد العزيز عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية ·

الى حضرة صاحب الفخامة المستر روزفلت ·

رئيس الولايات المتحدة الامريكية الافخم ·

يا صاحب الفخامة :

انها لفرصة سعيدة انتهزها لاشاركم السرور فى انتصار المبادىء التى اعلنت الحرب من اجلها نصرتها ولاذكر الشخصيات العظيمة التى بيدها بعد الله تصريف مقاليد نظام العالم ، بحق صريح قائم منذ عرف التاريخ ، ويراد الآن ، القضاء على هذا الحق بظلم لم يسجل له التاريخ مثيلا ولا نظيرا ·

ذلك هو حق العرب فى فلسطين · الذى يريد دعاة اليهودية والصهيونية غمطه وازالته بشتى وسائلهم التى اخترعوها وبيتوها وعملوا لها فى انحاء العالم من الدعايات الكاذبة وعملوا فى فلسطين من المظالم واعدوا للعدوان على العرب ما اعدوا · مما علمه بعض الناس · وبقى الكثير منه تحت طى الخفاء · وهم يعدون العدة لخلق شكل نازى فاشستى بين سمع الديمقراطية وبصرها فى وسط بلاد العرب · بل فى قلب بلاد العرب وفى قلب الشرق الذى اخلص العمل لقضية الحلفاء فى هذه الظروف الحرجه ·

ان حق الحياة لكل شعب فى موطنه الذى يعيش فيه حق

طبيعي ضمنته الحقوق الطبيعية واقرتها مبادىء الانسانية واعلنها الحلفاء في ميثاق الاطلنطي وفي مناسبات متعددة ٠ والحق الطبيعي للعرب فى فلسطين لا يحتاج لبيانات فقد ذكرت غير مرة لفخامة الرئيس روزفلت وللحكومه البريطانية في عدة مناسبات ان العرب هم سكان فلسطين منذ اقدم العصور فى التاريخ وكانوا سادتها والاكثرية الساحقة فيها فى كل العصور واننا نشير أشارة موجزة الى هذا التاريخ القديم والحديث لفلسطين حتى اليوم ليتبين ان دعوى الصهيونية فى فلسطين لا تقوم على اساس تاريخى صحيح ٠

يبتدى « تاريخ فلسطين المعروف من عام ٣٥٠٠ ق م ٠ واول من توطن فيها الكنعانيين وهم قبيلة عربية نزحت من جزيرة العرب وكانت مساكنهم الاولى في منخفضات الارض ٠ ولذلك سموا كنعانيين ٠ وفى عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد هاجر من العراق (أور الكلدانيين) بقيادة النبى ابراهيم ، فريق من اليهود واقاموا في فلسطين ثم هاجروا الى مصر بسبب المجاعات

حيث استبعدهم الفراعنة ٠ وقد ظل اليهود مشردين فيها الى ان انقذهم النبى موسى من غربتهم ٠ وعاد بهم الى ارض كنعان عن طريق الجنوب الشرقى فى زمن رمسيس الثانى الموافق ١٢٥٠ ق م ٠ او ابنه منفتاح عام ١٢٢٥ ق ٠ م

واذا سمعنا بنص التوراه نجد ان قائد اليهود الذى فتح فلسطين كان يشوع بن نون وهو الذى عبر بجيشه واحتل مدينة اريحا من الكنعانيين بقسوة شديدة ووحشية يدل عليها قوله لجيشة « احرقوا كل ما فى المدينة واقتلوا كل رجل وامرأة وكل طفل وشيخ حتى البقر والغنم بحد السيف واحرقوا المدينة بالناس مع كل ما فيها » ٠ يشوع ١٦ ـ ٢١ ـ ٢٤ ٠ وقد انقسم اليهود بعد ذلك الى مملكة اسرائيل وقصبتها السامرة (نابلس) وقد دامت ٢٥٠ سنة ثم سقطت في يد شلمناصر ملك اشور عام ٧٢٢ ق م وسبى شعبها الى مملكته ٠ ثم مملكة يهودا وقصبتها اورشليم (القدس) وقد دامت ١٣٠ سنة بعد انقراض مملكة بني اسرائيل ٠ ثم ابيدت بيد بتوخذ ناصر ملك بابل الذى

احرق المدينة والهيكل بالناس وسبى الشعب الى بابل عام ٥٨٠ ق ٠ م ٠ ودام السبى البابلى مدة ٧٠ سنة ثم رجع اليهود الى فلسطين بامر كورش ملك الفرسى ٠

ثم تلى ذلك الفتح اليونانى بقيادة الاسكندر المقدونى عام ٣٣٢ ق م ودام حكمه فى فلسطين مدة ٢٧٢ سنة ٠ وجاء بعده الفتح الرومانى عام ٦٣ ق م بقيادة بوسى ودام الحكم الرومانى فى فلسطين ودام حكمهم فيها مدة ٨٨٠ سنة متواصلة وكانت وصية الخليفة للفاتح لا تخونوا ولا تغدروا ، ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا تعقوا نخلا وتحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاه ولا بقرة ولا بعيرا ، وسوف تمرون بأناس قد فرغوامن نفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرعوا انفسهم له ٠ وقد ذكر هذا ابن الاثير المؤرخ المشهور ٠ وهذه كانت وصية الخليفة للفاتح ٠

ثم انتقل الحكم فى فلسطين الى الاتراك عام ١٥١٧ ميلادية فى زمن السلطان سليم الاول ٠ وقد ظلت فلسطين فى حوزتهم مدة ٤٠٠ سنة ٠ وكان العرب سكانها وكانوا شركاء مع الاتراك فى حكمها وادارتها ٠ وفى ١٩١٨ م ٠ احتلها البريطانيون ولا يزالون فيها الى الآن ٠

ذلك تاريخ فلسطين العربية يدل على ان العرب اول سكان سكنوها منذ ثلاثة الاف سنة قبل الميلاد واستمر سكناهم فيها بعد الميلاد الى اليوم وحكموها وحدهم ومع الاتراك الف وثلاثمائة سنة تقريبا ٠ اما اليهود فلم تتجاوز مدة حكمهم المنقطع فيها ٣٨٠ سنة وكلها أقامت متفرقة مشوشة ٠ ومن عام ٣٣٢ قبل الميلاد لم يكن لليهود فى فلسطين اى وجود او حكم الى ان دخلت القوات البريطانية فلسطين عام ١٩١٨ ، ومعنى ذلك ان اليهود منذ الفين ومائتى سنة لم يكن لهم فى فلسطين عدد ولا نفوذ ٠ ولما دخل البريطانيون فلسطين ٠ لم يكن عدد اليهود يزيد على ثلاثين الفا ، كانوا يعيشون فى رغد وهناء ورخاء مع سكان البلاد الاصليين من العرب ، ولذلك فاليهود لم يكونوا الا دخلاء على فلسطين فى حقبة متفرقة من

الزمن • ثم اخرجوا منها منذ اكثر من الفى سنة اما الحقوق النابته للعرب فى فلسطين فتستند الى :

١ ــ على حق الاستيطان الذى استمرت مدته منذ ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد ولم يخرجوا منها فى يوم من الايام • •

٢ ــ وعلى الحق الطبيعى فى الحياة •

٣ ــ ولوجود بلادهم المقدسة فيها •

٤ ــ ليس العرب دخلاء على فلسطين ولا يراد جلب احد منهم من أطراف المعمورة لاسكانها •

أما اليهود فان دعواهم التاريخية هى مغالطة ، ثم ان حكمهم القصير فى فترات متقطعة • كما ذكرنا لا يعطيهم أى حق فى ادعائهم انهم اصحاب البلاد ، لان احتلال بلدنا ثم الخروج منه لا يخول اى شعب ادعاءه ملكية تلك البلاد والمطالبة بذلك • وتاريخ العالم مملوء بمثل هذه الامثال • ان حل قضية اليهود المضطهدين فى العالم تختلف عن قضية الصهيونية الجائرة • فان ايجاد اماكن لليهود المشتتين يمكن ان يتعاون عليها جميع العالم ، وفلسطين قد تحملت قسطا فوق طاقتها • واما نقل هؤلاء المشتتين ووضعهم فى بلاد اهلة بسكانها والقضاء على اهلها الاصليين فأمر لا مثيل له فى التاريخ البشرى •

واننا نوضح بصراحة ووضوح ان مساعدة الصهيونية فى فلسطين لايعنى خطرا يهدد فلسطين وحدها فحسب بل انه حظر يهدد سائر البلاد العربية • وقد أقام الصهيونيون الحجة الناصعة على ماينوونه فى فلسطين وفى سائر البلاد • المجاورة فقاموا بتشكيلات عسكرية سرية خطيرة ، ومن خطأ القول ان يقال ان هذا عمل شرذمة متطرفة منهم ، وان ذلك قوبل باستنكار من جمعياتهم وهيئاتهم • واننا نقول انأعمال الصهيونية فى فلسطين وفى خارجها صادرة عن برنامج متفق عليه ومرضى عنه من سائر اليهود والصهيونية •

وقد بدأ هؤلاء اعمالهم المنكرة فى الاساءة للحكومة التى

أحسنت اليهم وأوتهم ـ وهى الحكومة البريطانية ـ واعلنت جمعياتهم الحرب على بريطانيا وأسست لذلك تشكيلات عسكرية خطيرة ، تملك في فلسطين فى الوقت الحاضر كل ما تحتاجه من الاسلحة والمعدات الحربيه . ثم قام افرادها بشتى الاعتداءات وكان من افظعها الاعتداء على الرجل الفذ الذى كان ممتلئا بالحب والخير لصالح المجتمع ، وكان من أشدمن يعطف على اليهودية المضطهدة . وهو اللورد موين . ومما يدل على أن فعلتهم المنكرة ، كانت مؤيدة من مجموع اليهود هى المظاهر والمساعى التى قام بها رجال الصهيونية فى كل مكان فى طلب تخفيف العقوبه على المجرمين ليجرءوا على امثالها .

فهذه أفعالهم مع الحكومة التى أحسنت اليهم كل الاحسان، فكيف يكون الحال لو مكنوا من أغراضهم وأصبحت فلسطين بلدا خالصا لهم يفعلون فيها وفى جوارها ما يريدون .

لو ترك الامر بين العرب وبين هؤلاء المعتدين ربما هان الامر ، ولكنهم محميون من قبل الحكومة البريطانية صديقة العرب . فاليهودية الصهيونية لم تراع حرمة هذه الحماية بل قامت بتدبير حبائل الشر . وبدأتها ببريطانيا وانذرت العرب بعد بريطانيا بمثلها وأشد منها فاذا كانت الحكومات المتحالفة التى تشعر العرب بصداقتها تريد ان تشعل نار الحرب والدماء بين العرب واليهود ، فان تأييد الصهيونية سيوصل الى هذه النتائج :

وان اخشى ما تخشاه البلاد العربية من الصهيونية هو :

١ ـ انهم سيقومون بسلسلة من المذابح بينهم وبين العرب .

٢ ـ ستكون اليهودية والصهيونية من أكبر العوامل على افساد مابين العرب والحلفاء . وأقرب دليل على ذلك قضية اليهودية فى مقتل اللورد موين فى مصر فقد قدر اليهود أن يختفى فاعلوا الجريمة ، فيقع الخلاف بين الحكومة البريطانية والمصرية .

٣ ـ ان مطامع اليهود ليست فى فلسطين وحـــدها فان ماأعدوه من العدة يدل على انهم ينوون العدوان على ماجاورها من البلدان العربية ٠

٤ ـ لو تصورنا استقلال اليهود في مكان ما فى فلسطين فما الذى يمنعهم من الاتفاق مـع اى جهـة قد تكون معادية للحلفاء ومعادية للعرب وهم قد بدأوا بعد وانهم على بريطانيا بينما هم تحت حمايتها ورحمتها ٠ لا شك ان هذه امور ينبغى أخذها بعين الاعتبار فىاقرار السلم فى العالم عنـدما ينظرفى قضية فلسطين فضلا عن ان حشد اليهود فى فلسطين لايستند الى حجة تاريخية ولا الى حق طبيعى ، وانه ظلم مطلق ٠ فهو فى نفس الوقت يشكل خطرا على السلم وعلى العرب وعـلى الشرق الاوسط ٠

وصفوة القول ان تكوين دولة يهودية بفلسطين سـيكون ضربة قاطبه لكيان العرب ومهدد للسلم باستمرار لانه لابـد وان يسود الاضطراب بـين اليهود والعرب ٠ فان نفذ صبر العرب يوما من الايام ويئسوا مـن مستقبلهم فانهم يضطرون للدفاع عن انفسهم وعن اجيالهم المقبـلة ، ازاء هـذا العدوان وهـذا بلا شـــك لم يخطر على بال الحلفـــاء العاملين عـلى سيادة السلم واحترام الحقوق ولا شك بانهم لا يرضون هذه الحالة المقلقة لسلام الشرق الاوسط ٠

ما كنت أريد فى هذا المعترك العظيم ان اشـغل فخامتكم ورجال حكومتكم العاملين فى هـذه الحرب العظمى فى هـذا الموضوع ٠ وكنت افضل ـ وانا واثق من انصاف العرب من قبل الحلفاء ـ ان يستمر سكوت العرب الى نهاية الحرب لولا ما تراه من قيام هذه الفئة الصهيونية اليهودية بكل عمل مثير مزعج غير مقدرين الظروف الحربية ومشاغل الحلفاء حق قدرها عاملين للتأثير على الحلفاء مـن مبـادىء الحق والعدل ٠ لذلك أردت بيان حق العرب فى فلسطين على حقيقته لدحض الحجج الواهية التى تدعيها هذه الشرذمة من اليهـودية الصـهيونية دفعا لعدوانهم وبيانا للحقائق حتى يكون الحلفاء على علم كامل بحق العرب فى بلادهم وبلاد ابائهم واجدادهم فـلا يسـمح

لليهود ان ينتهزوا فرصة سكوت العرب ورغبتهم فى عـــدم التشويش على الحلفاء فى الظروف الحاضرة • فيأخـذوا مـن الحلفاء ما لا حق لهم فيه • وكل ما نرجوه هو ان يكون الحلفاء على علم بحق العرب ليمنع ذلك تقدم اليهود فى اى امر جديد يعتبر خطرا على العرب وعلى مستقبلهم فى ســائر اوطانهم ويكون العرب مطمئنين من العدل والانصاف فى اوطانهم •

بعد هذه الرسالة الشاملة والعارضة للملك عبـد العزيز آل سعود الى الرئيـــس روزفلت ردهـا عليهـا الاخـــير • الا ان رده كان هروبا من الحقائق التى سردها الملك العربى • بل ان الكونجرس الامريكى اتخذ قرارا جماعيا فى ١٩ ديسمبر ١٩٤٥ بتأييد الرئيس روزفلت فى اهتمامه بمشـكلة هجرة اليهود الى فلسطين •

وبـدأت المشــكلة تتخـذ طابعـا خطيرا حيث المنظمـات الصهيونية تمارس أساليب العنف حيث اشتبكت العصـابات الصهيونية مع القوات الفلسطينية واصطدمت بالقوات البريطانية التى لم تواجه العصابات الصهيونية • بما ينبغى حتى للدفاع عن النفس • بل قدمت لها القوات البريطانية كل التسهيلات •

وفى عام ١٩٤٦ عقد مؤتمر فى لندن بين الحكومة البريطانية ومندوبين عن البلاد العربية ، طرح فيه المندوبين العـــرب وجهة النظر العربية الا ان المؤتمر لم يصل الى نتيجـــة فتقرر تأجيله •

أمريكا والقضية

لم يبعد التفكير الامريكى عن التفكير الاوروبى ازاء المشكلة الفلسطينية • فقد جاء فى تقرير لجنة الخبراء الامريكيين الى الرئيس ويلسون فى ١٢ يناير ١٩١٩ • توصيتها بانشاء دولة منفصلة فى فلسطين وأن توضع هذه الدولة تحت اشراف بريطانيا العظمى كدولة منتدبه عن عصبة الامم • مع توجيه الدعوة الى اليهود للعودة الى فلسطين والاستيطان بها •

مع التأكيد بأن سياسة عصبة الامم تقـــوم على الاعتراف بفلسطين كدولة يهودية •

وفي ١٥ أكتوبر ١٩٤٦ بعث الملك عبد العزيز آل سعود برسالة اخرى الى الرئيس هارى ترومان رئيس الولايات المتحدة يذكره برسالته السابقة للرئيس روزفلت · وتاييد الحكومة الامريكية لليهود والدعوة الى توسيع الهجرة اليهودية الى فلسطين ··

ولقد بعث الرئيس ترومان فى ٢٨ اكتوبر ١٩٤٦ برده الى الملك عبد العزيز آل سعود · وهو رد يعطى مؤشرات على الموقف الامريكى جاء فيه ·

ياصاحب الجلالة :

لقد استلمت الان كتابكم بشأن فلسطين الذى تلطفتم جلالتكم وحولتوه الى عن طريق المفوضية السعودية العربية بتاريخ ١٥ اكتوبر ١٩٤٦ وأوليت الآراء التى عبرتم عنها فيه اهتماما كافيا ·

وانى لمقدر بصورة خاصة أسلوبكم الصريح الذى عبرتم عنه فى كتابكم · ان صراحتكم تتفق تماما · والعلاقات الودية التى تقوم منذ مدة طويلة بين بلدينا والصداقة الشخصية بين جلالتكم وسلفى المختار ، تلك الصداقة التى ارجو الاحتفاظ بها وتقويتها ·

وهى بالذات هذه العلاقة الودية القائمة بين بلدنا وموقف جلالتكم الودى ، هى التى تشجعنى على أن أدعو اهتمامكم الى بعض الاعتبارات التى دعت هذه الحكومة الى اتباع الطريق الذى كانت تتبعه فيما يختص بقضية فلسطين واليهود المشردين فى اوربا ·

وانى لمتاكد ان جلالتكم سيوافق بسهولة على ان وضع اليهود المفجع ممن هم بقية ضحايا اضطهاد النازى فى اوروبا ، يكون قضية ذات اهمية وتأثير لا يمكن لأناس ذوى نية طيبة وغرائز انسانية أن يتجاهلوها · وان هذه القضية تعتبر قضية ذات صبغة عالمية ويتراءى لى بأن كلامنا تقع عليه مسئولية

مشتركة للعمل على ايجاد حل يساعد أولئك المنكوبين الذين هم مضطرون الى مغادرة أوروبا للعثور على أوطان جديدة حيث يمكنهم العيش بسلام وآمان ٠

ومن بين الاشخاص المشردين الذين نجوا من المــــوت في المعتقلات في اوربا هنالك عدد من اليهود حالتهم مفجعة بصورة خاصة وذلك من حيث انهم يمثلون بقايا يرثى لها الملايين التى اختارها زعما ءالنازى عمدا للقضاء عليهءا

ان كثير من هؤلاء الاشخاص ، تنظر الى فلسطين كمـــأوى يأملــون ان يجــدوا فيــه ملجــا بين اناس من ابنـــاء دينهم ، ويباشرون قضاء حياة هادئة قصيرة ، ويساهمون فى اضطراد وتقدم الوطن القومى اليهودى ٠

ان حكومة الولايات المتحدة الامريكية وســـكانها عاصرت مفهوم الوطن القومي اليهودى فى فلسطين منذ انتهاء الحرب العالمية الاولى التى اثمرت فى تحــــرير الشرق الادنى ٠ ومن ضمنه فلسطين ٠ واقامة عدد من الدول المســـتقلة التى هى اعضاء فى هيئة الامم اليوم ٠

ان الولايات المتحدة الامريكية التى ساهمت بدمهــــــا ومواردها للانتصار فى تلك الحرب لايمكنها ان تتخلى عن بعض المسئولية من أجل الطريقــة التى عــوملت بها تلك المناطـــق المحررة ٠ أو من أجل مصير الشــعوب التى كانت قد تحررت فى ذلك الوقت ٠ وقد اتخذت المــوقف الذى لاتزال تلزمــه الا وهو تهيئة هذه الشعوب للحكم الذاتى ووجوب اقامة وطن للشعب اليهودى فى فلسطين ٠ وانى لسعيد بان اشير الى ان اكثر الشعوب التى تحررت هم الان مواطنون فى بلاد مستقلة٠

والوطن القومى اليهودى ــ على كل ــ لم يكتمل بعد تقدمه تماما ٠ ولذلك فمن الطبيعى حقا ان تشجعهذه الحكومة الان ، دخول عدد من المشردين اليهود فى اوربا الى فلسطين لاليجدوا هنالك ملجأ ، بل ايضا ليتمكنوا من المساهمة بمواهبهــــــم وجهودهم فى سبيل تشييد الوطن القومى اليهودى ٠

ولقد كان مما يتفق تماما والتقاليد السياسية لهذه الحكومة بأني ـ منذ عام سبق ـ قد أخذت أراسل رئيس وزراء بريطانيا للاسراع في حل المشكلة الملحة ٠ أي مشكلة من تبقى من اليهود في معسكرات اللاجئين ٠ وذلك بنقل عدد منهم الى فلسطين ٠

ولقد كان اعتقادي الذى لاأزال متمسكا به والذى يشاركني فيه عدد عظيم من سكان هذه البلاد بأن ليس هناك ما يساهم بصورة فعالة في تخفيف مصير من تبقى من هؤلاء اليهود اكثر من السماح بدخول لا اقل من ١٠٠٫٠٠٠ منهم حالا الى فلسطين ٠ ومع انه لم يتخذ بعد أي قرار فيما يختص بهذا الاقتراح ٠٠ ولكن هذه الحكومة لاتزال تأمل بأنه من الممكن السير بموجب الخطة التى رسمتها الى رئيس الوزراء وفي نفس الوقت يجب ان نهتم بالطبع لبذل الجهود لفتح ابواب البلاد الاخرى ومنها الولايات المتحدة في وجه اولئك المساكين الذين هم الان على ابواب شتاء السنة الثانية ولا مأوى لهم ٠

وانا من جانبى قد اعلنت بأنى مستعد لمطالبة كونجرس الولايات المتحدة ـ الذى يجب تهيئة مساعدته بموجب الدستور ـ ليضع تشريعا خاصا يقبل بموجبه الى هذه البلاد اعداد اضافية من هؤلاء الاشخاص علاوة على حصة المهاجرين التى تقررت بموجب قوانيننا ٠

وعلاوة على ذلك كانت هذه الحكومة تعمل جاهدة مع غيرها من الحكومات فى استقصاء امكانيات التعويض فى بلاد اخرى خارج اوروبا لاولئك الاشخاص المشردين الذين كانوا مضطرين الى الهجرة من تلك القارة ٠ وفي هذا الصدد ٠ كان مما شد عزمنا أن نلاحظ تصريحات مختلف زعماء العرب واستعداد بلادهم للمساهمة فى هذا المشروع الانساني ، وذلك بقبولها عدد معينا من هؤلاء الاشخاص فى بلادهم ٠

وانا اعتقد اعتقادا مخلصا بأن الايام ستثبت امكانية الوصول الى تسوية مرضية لقضية اللاجئين تتفق تماما والخطة

التي ذكرتها اعلاه ·

واما فيما يختص بامكانيــة اســتخدام اليهــود العنف فى مشاريع عدوانية ضد البلاد العربية المجاورة ، كما تصورتموه جلالتكم ، فيمكننى ان اوكــد لــكم بأن هــذه الحكومــة تقف معارضة العدوان مهما كان نوعه او استخدام الارهــاب فى سبيل الاغراض السياسية وبامكانى ان اضيف ايضــا بأنى مقتنع بأن زعماء اليهود المسئولين لايفكرون فى سياســة عدوانية ضد البلاد العربية الملاصقة لفلسطين ·.

ولا يمكننى ان اوافق جلالتكم ولا بصورة على ان تصريحى الصادر فى ٤ اكتوبر يتناقض والموقف الذى اتخذ فى التصريح الصادر باسمى فى ١٦ أغسطس · ان التصريح الاخير عبر عن الامل فى الوصول الى حل عادل لقضية فلسطين واتخــاذ خطــوات مباشرة لتخفيف حالة اليهــود المشردين فى أوروبا· وذلك كنتيجة للمحادثات المقترحة بين الحكومة البريطانيــة وممثلى اليهود والعرب ·

ولسوء الحظ فان هذه الآمال لم تتحقق فالمحــادثات التى تمت بين الحكومة البريطانية وممثلى العرب كما فهمت ــ قد تأجلت حتى ديسمبر دون ايجاد اى حل لقضية فلســطين أو اتخاذ اية خطوات من شأنها تخفيف حالة اليهود والمشردين فى اوروبا ·

وفى هذه الحالة يظهر انه يقضى على ان اذكر بقدر ما يمكننى من الصراحة اهمية القضية ورأى فيما يختص بالاتجاه الذى به يمكن الوصول الى حل يقوم على العقل والرغبة الطيبــة وبالخطوات المباشرة التى يجب اتخاذها · وهذا ماذكــرته فى تصريحى الصادر فى ٤ اكتوبر ·

ويتبين من رد الرئيس هارى ترومــان عــلى جــلالة الملــك عبد العزيز آل سعود ، موقف الولايات المتحــدة الامــريكيــة واصرارها على انشاء وطن قومى لليهود · وتجاهلها للحقائق التى ذكرها الملك عبد العزيز آل سعود · وليس هذا الموقف

الا امتداد للموقف الاوروبى فى نظرنه لقضية الشرق عموما ٠ واذا كانت أمريكا قد سمحت بهجرة بعض اليهود اليها فما هم الا اليهود الاثرياء الذين هاجروا بثروانهم واستفادت منهم الولايات المتحدة لامريكية اقتصاديا وساهموا في تطوير الاقتصاد الامريكى بل وصلوا الى حد السيطرة عليه ٠

ولقد ظهر الموقف الامريكى على حقيقته المكشوفة بمسارعة الرئيس الامريكى هارى ترومان بالاعتراف بالدولة الاسرائيلية فى الدقيقة الاولى من قيامها ٠ ثم حمى المساعدات التى اخذت تتجمع من امريكا للدولة الجديدة التى بلغت الاف البلايين من الدولارات ٠ ثم الاعلان الرسمى لكافة الرؤساء الامريكيين من ترومان وكندى وجونسون الى نيكسون عن حمايتهم لاسرائيل وتأييدها فى كل ما يسعى اليه من توسع وعدوان وكان التأييد الامريكى سياسى واقتصادى وعسكرى واعلامى ٠ وكان ابرز مظهر لهذا التأييد هو حرب يونيو ١٩٦٧ التى استنكرها العالم بأسره ، وصدرت قرارات عديدة من الامم المتحدة ، ابرزها القرار رقم ٢٤٢ فى نوفمبر ١٩٦٧ ٠

الا ان الموقف الامريكى كان دائما تشجيع للعدوان الاسرائيلى ، واستهتارا بالموقف العربى وتجاهل لحق اللاجئين الفلسطينيين فى العودة الى ديارهم ٠

وانتفض العملاق المصرى فى اكتوبر ١٩٧٣ ليفرض وضعا جديدا فى الشرق الاوسط ووجدت أمريكا نفسها أمام تطور جديد للقضية واصبح لزاما عليها ان تعيد تقرير الموازين وان تقترب من المشكلة ٠ وكانت زيارة الرئيس نيكسون لكل من مصر والمملكة العربية السعودية وسوريا والاردن واسرائيل ــ تعبيرا عن تغير فى الموقف الامريكى ستبرز الايام الى مدى سيكون هذا التغيير فى الموقف الامريكى ٠

القضية والجمعية العامة للامم المتحدة :

ثم انتقلت القضية الفلسطينية من اطار العلاقات العربية البريطانية أو العلاقات الجانبية الاخرى الى الجمعية العامة

للامم المتحدة . وقد شكلت الجمعية العامة لجنة لتقص الحقائق فى فلسطين فى ٥ مايو ١٩٤٧ وفى ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧ ، اصدرت الجمعيه العامة قرارها رقم ١٨١ الخاص بتقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية مع اتحاد اقتصادى بينهما وان يكون للقدس والقرى التى تتبعها كيان منفصل خاضع لنظام دولى خاص . وتتولى الامم المتحدة ادارتها وتعيين مجلس وصاية ليقوم بأعمال السلطنة الادارية نيابة عن الامم المتحدة. وما ان صدر قرار التقسيم حتى اندفعت العصابات الصهيونية للاستيلاء على الاراضى الفلسطينية الداخلة فى اطار الدولة العربية وارتكبت مذابح رهيبة ضد السكان العرب . ولقد قدمت بريطانيا كل التسهيلات لتلك العصابات الصهيونية على الرغم من تعرض القوات البريطانية لهجمات متعددة من تلك العصابات الصهيونية .

وحينما اطمأنت بريطانيا الى قدرة العصابات الصهيونية ، وتمكنها من مواجهة القوى الثورية الوطنية سارعت الى تقديم موعد انتهاء انتدابها الذى كان مقررا ان ينتهى فى اغسطس ١٩٤٨ .

فاعلنت انتهاء الانتداب فى ١٥ مايو ١٩٤٨ . وفى مساء ١٤ مايو ١٩٤٨ اعلنت العصابات الصهيونية قيام دولة اسرائيل ، واستمرت فى عدوانها على المناطق العربية متخطية حدود التقسيم التى اقرتها الجمعية العامة للامم المتحدة . مما دفع الدول العربية الى ارسال جيوشها لمواجهة هذه الاعتداءات الصهيونية . ولم يكن دخول الجيوش العربية فلسطين حرصا على قضية فلسطين بقدر ما كان حرصا على الانظمة الموجودة التى خشيت الجماهير العربية وغضبتها . فلقد كان من سخرية القدر ان الجيوش العربية التى دخلت فلسطين لتحافظ على الحق العربى كانت تحت القيادة العليا لاحد العملاء الذين اشتراهم الاستعمار بالثمن البخس ، بل ان العمليات العسكرية تحت هذه القيادة العليا ، كانت فى يد ضابط انجليزى يتلقى اوامره من نفس الساسة الذين اعطوا الحركة

الصهيونية وعد بلفور الذى قامت على اساسه الدولة اليهودية فى فلسطين ٠

ولم تمض دقائق على اعلان قيام الدولة اليهودية حتى سارع الغرب الى الاعتراف بها ٠ تأكيدا لنجاح خطته وتحقيق سياسته فى زرع جسم غريب بالمنطقة وتقسيم الشرق وفصل آسيا عن افريقيا ٠ وسارعت امريكا واوربا بتقديم كل الامكانيات والمساعدات المادية والمعنوية لهذه الدولة الجديدة

وارتاحت اوروبا واطمأنت فقد تحقق لها ما لم تستطع جيوشها او جيوش المغول ان تحققه ٠ فقد انشأت وطنا غريبا وعدوا للمنطقة في فلسطين ٠ مرتبط بها ٠ هو صنعها وفكرها ٠ كما وضعت القدس تحت حماية الامم المتحدة التى تخضع لسيطرة الغرب ٠

ثم تدخلت اوروبا بفرض هدنة بين العرب واليهود ٠ كما تعاونت مع عملائها فى الدول العربية لتصفية الحملات العسكرية العربية ضد اسرائيل ٠ ونجح الغرب فى ذلك واطمأن الى نجاح مخططة واتسعت الرقعة التى سيطرت عليها القوات الاسرائيلية ٠

ولقد صدرت عن الامم المتحدة قرارات عديدة منذ عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٧٣ ٠ كلها تدين العدوان والتوسع الاسرائيلى ٠ وتدمغ التصرفات الهمجية للعصابات الحاكمة فى اسرائيل ولم يلق اى من هذه القرارات اى احترام من المجتمع الدولى الذى تتحكم فيه القوى الاستعمارية فىأوروباوأمريكا٠

وبدأت اوروبا تدرك ان مخططها ينفذ واهدافها تتحقق وانها نجحت فى فصل المنطقة العربية جغرافيا بفصل المشرق العربى عن المغرب العربى ٠ وكذلك فصل آسيا عن افريقيا كما انها سياسيا تتحكم فى مقدارات المنطقة كلها سواء باستعمارها او بوضع عملاء لها على رأس الانظمة الموجودة والحاكمة وتوجيهها حسب مخطط ا ٠ الا ان العالم العربى كان يموج بحركات وطنية تتجمع وتجمع نفسها ٠ وكان نضالها قاسيا وعنيفا حيث كانت تناضل وتكافح فى جبهتين ٠

أولا : جبهة عسكرية ضد المستعمر الاوروبى الذى دعم مخططاته وأساليبه بقوات عسكرية فرضها على بعض المناطق العربيـة ٠

ثانيا : ـ جبهة داخلية ضـد العميل الذى صنعه المستعمر وسلمه مقادير الحكم فى البلاد العربية ولقد كانت ثورة الجزائر علامة بارزة على هذاالنضال بما قدمته من مليون شهيدللنضال الثورى الوطنى لا من اجل استقلال الجزائر فحسب ولكن من أجل حماية التراث الحضارى للامة العربية ٠

حركة الجماهير المصرية

ان روح هذا الشعب العظيم ، لم نستسلم لكل الانتكاسات التى واجهتها • وانما استطاعت تحت المحن العصيبة فى هذه الفترة ان تختزن طاقات تحفزت لاطلاقها فى اللحظ ةالمناسبة •

وكانت هذه الطاقة هى العلم الذى حصل عليه الالاف من شباب مصر الرواد ممن ارسلوا ايام الصحوة التى سبقت النكسة من حكم مخمد على الى اوروبا ليتمكنوا من العلـــم الحديث • ان هؤلاء الشبان استطاعوا بعد عودتهم الى الوطن ان يحملوا معهم بذورا صالحة ، ما لبثت التربة الثورية الخصبة لمصر ان احتضنتها لتخرج منها بشائر نبت ثقافى جديد راح ينشر الوانا رائعة من الازهار على ضفاف النيل الخالد •

وليس صدفة ان هذه الزهور على ضفاف وادى النيل كانت بمثابة الومضات اللامعة التى لفتت أنظار العناصر المتطلعة الى التقدم فى المنطقة كلها نحو مصر • وجعلت منها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر منبرا للفكر العربى كلـــه ومسرحا لقوته وملتقى لكل الثوار العرب من وراء الحـــدود المصطنعة والموهومة •

ولقد احست الاحتكارات الاستعمارية الطامعة فى المنطقة بالامل الجديد يستجمع قواه ويتحفز • وكانت بريطانيا بالذات لاتحول انظارها عن مصر بحكم اهتمامها بالطريق الى الهند • ومن ثم ألقت بثقلها كله فى المعركة الثـــورية التى لاحت مقدماتها بين القوى الشعبية وبين اسرة محمد على الدخيلـــة المغامرة •

وكانت ثورة عرابى هى قمة ردود الفعل الثورى ضد النكسة · وكان الاحتلال العسكرى البريطانى لمصر عام ١٨٨٢ ـ ضمانا لمصالح الاحتكارات المالية الاجنبية وتأييدا لسلطة الخديوى ضد الشعب ـ هو التعبير عن ارادة الاستعمار فى استمرار بقاء النكسة ومواصلة القهر والاستغلال ضد شعب مصر ·

ان اصداء المدافع التى ضربت الاسكندرية واصداء القتال الباسل الذى طعن من الخلف فى التل الكبير لم تكد تخفت ، حتى انطلقت اصوات جديدة تعبر عن ارادة الحياة التى لاتموت لهذا الشعب الباسل وعن حركة اليقظة التى لم تقهرها المصائب والمصاعب ·

لقد سكن احمد عرابى · ولكن صوت مصطفى كامل بدأ يجلجل فى آفاق مصر · ولقد ركز مصطفى كامل نشاطه السياسى على القضية المصرية منطلقا من نظريته السياسية بأن انتصار قضية التحرير والاستقلال فى مصر ، سيؤدى حتما الى التأثير المباشر فى الاوضاع العربية كلها · ولذلك فقد ركز جهوده ، على قضية مصر · وتبعه الزعماء السياسيون كل بمقدار انتمائه الوطنى ·

من عجب ان هذه الفترة التى ظن فيها الاستعمار والمتعاونون معه انها فترة الخمود كانت من اخصب الفترات فى تاريخ مصر، بحثا فى اعماق النفس وتجميعا لطاقات الانطلاق من جديد ·

لقد ارتفع صوت محمد عبده فى هذه الفترة ينادى بالاصلاح الدينى ، وارتفع صوت لطفى السيد ينادى بأن تكون مصر للمصريين ، وارتفع صوت قاسم امين ينادى بتحرير المرأة ·

وكانت كلها مقدمات موجة ثورية جديدة ، مالبثت ان تفجرت عام ١٩١٩ بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى ، وبعد خيبة الامل فى الوعود البراقة التى قطعها الحلفاء على انفسهم خلال الحرب ، وفى مقدمتها وعود ويلسون رئيس الولايات الامريكية التى مالبث هو نفسه ان تنكر لها واعترف بالحماية البريطانية على مصر ·

وتقدم سعد زغلول قمة الموجة الثورية الجديدة حيث قاد النضال الشعبى العنيد الذى وجهت اليه الضربات المتلاحقة اكثر من مائة عام متواصلة دون أن يستسلم أو ينهزم ٠

ان ثورة الشعب المصرى عام ١٩١٩ تستحق الدراسة الطويلة ٠فأن الاسباب التى أدت الى فشلها هى نفس الاسباب التى حركت حوافز الثورة عام ١٩٥٢ ٠

أن هناك ثلاثة أسباب وأضحة أدت الى فشل هذه الثورة٠

أولا : ـ أن القيادات الثورية أغفلت أغفالا يكاد أن يكون تاما مطالب التغيير الاجتماعى على أن تبرير ذلك واضح فى طبيعة المرحلة التاريخية التى جعلت من طبقة ملاك الاراضى أساسا للاحزاب السياسية التى تصدت لقيادة الثورة ٠

أن أغفال القيادات ـ التى تصدت فى مقدمة الموجه الثورية عام ١٩١٩ للجوانب الاجتماعية من محركات الانفجار الثورى لم تستطع أن تتبين بوضوح أن الثورة لاتحقق غاياتها بالنسبة للشعب الا اذا مدت اندفاعها الى ما بعد المواجهة السياسية الظاهرة من طلب الاستقلال ووصلت الى أعماق المشكلة الاقتصادية والاجتماعية ٠

ثانيا : ـ أن القيادات الثورية فى ذلك الوقت لم تستطع أن تمد بصرها عبر سيناء وعجزت عن تحديد الشخصية المصرية ولم تستطع أن تستشف من خلال التاريخ أنه ليس هناك صدام على الاطلاق بين الوطنية المصرية وبين القومية العربية ٠

لقد فشلت هذه القيادات فى أن تتعلم من التاريخ وفشلت أيضا فى أن تتعلم من عدوها الذى تحاربه والذى كان يعامل الامة العربية كلها على أختلاف شعوبها طبقا لمخطط واحد ٠

ومن هنا فان قيادات الثورة لم تتنبه الى خطورة وعد بلفور الذى أنشأ اسرائيل لتكون فاصلا يخترق امتداد الارض العربية وقاعدة لتهديدها ٠

وبهذا الفشل فأن النضـال العربي فى سـاعة من أخطر ساعات الازمة حرم من الطاقة الثورية المصرية وتمكنت القوى الاسـتعمارية من أن تتعامل مع أمة عربية ممزقة الاوصـال مفتته الجهد ٠

بل وصل الهوان بالامة العربية فى ذلك الوقت الى حد أن جواسيس الاستعمار تصدروا قيادت حركات ثورية عربية ٠ وكانت بأمرهم ومشـورتهم تقـام العروش ٠ للذين خانوا النضال العربى وانحرفوا عن أهدفه ٠

ثالثا : ـ أن القيادات النورية لم تسـتطع أن تلائم بين أساليب نضالها وبين الاساليب التى واجه بها الاسـتعمار نورات الشعوب فى ذلك الوقت ٠ ان الاستعمار طبق وصية لويس التاسـع باسـتعمال أسـاليب الخديعـة فقدم تنازلات شكلية لم تلبث القيادات النورية أن خلطت بينها وبين الجوهر الحقيقى ٠ وكان منطق الاوضـاع الطبقية يزين لها هـذا الخلط ٠

أن الاستعمار فى هذه الفترة أعطى الاستقلال اسمه وسلب مضمونه ٠ ومنح من الحرية شـعارها واغتصب حقيقتها ٠ وهكذا انتهت الثورة بأعلان أستقلال لا مضمون له وبحرية جريحة تحت حراب الاحتلال ٠

وزادت المضاعفات خطورة بسبب الحكم الذاتى الذى منحه الاستعمار والذى أوقع الوطن بأسم الدستور فى محنة الخلاف على الغنائم دون نصر ٠

وكانت معاهدة عام ١٩٣٦ التي عقدت بين مصر وبريطانيا والتى اشتركت فى توقيعها جبهة وطنية تضم كل الاحزاب السياسـية العاملة فى ذلك الوقت بمثابة صك الاستسلام للخديعة الكبرى التى وقعت فيها ثورة ١٩١٩ ٠ فقد كانت مقدمتها تنص على أستقلال مصر ٠ بينما صلبها فى كل عبارة من عباراته يسلب هذا الاستقلال كل قيمة له وكـل معنى ٠

وفى الاربعينات اتخـذ الصراع السـياسى بين الاحزاب

السياسية أسلوبا شخصيا ، أدى الى انحراف الاحزاب عن القضية الوطنية . مما دفع الجماهير الى البحث عن طريق آخر فتشكلت الجمعيات السرية والاحزاب الاشتراكية . كما استطاعت جماعة الاخوان المسلمون وهى جماعة دينية أن تستقطب عددا كبيرا من الجماهير المصرية حولها ، حيث لمست جانبا هاما من قضية الحضارة العربية وهو الجانب الاسلامى ،. وانطلقت هذه الجماعة بدعوتها خارج حدود مصر فى الوطن العربى الا أنها انحرفت باهدافها الى اغراض سياسية وشخصية .

كما أن قطاعا آخر من الشباب كان يراقب تطور الامور على الارض المصرية . بينما القيادة السياسية التى ادعت تمثيلها لقوى الشعب المصرى قد استسلمت واحده بعد واحده واجتذبتها الامتيازات الطبقية وامتصت منها كل قدرة على الصمود ، بل استعملتها بعد ذلك فى خداع الجماهير تحت وهم الديمقراطية الزائف .

ثورة يوليو ١٩٥٢ :

ومع بداية الخمسينات كان الصراع الداخلى فى مصر حادا وقاسيا . وقابلا للانفجار فى أى لحظة وفى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كان الانفجار الشعبى على يد الجيش المصرى ورفع الشعب المصرى رأسه بالايمان والعزه وسارع بالاستيلاء على السلطة وقضى على النظام الملكى ووضعت الثورة المصرية مبادئها الست كدليل عمل لها استمدتها الارادة الثوريه من مطالب النضال الشعبى واحتياجاته . هذه المبادىء هى :

١ ــ القضاء على الاستعمار واعوانه .
٢ ــ القضاء على الاقطاع .
٣ ــ القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم .
٤ ــ اقامة عدالة اجتماعية .
٥ ــ أقامة جيش وطنى قوى .
٦ ــ أقامة حياة ديمقراطية سليمة .

ولقد كانت الثورة المصرية فى يوليو ١٩٥٢ صدمة كبرى لاوروبا وأمريكا · فلم يكن فى التخطيط الغربى توقعا لحدوث مثل هذا التطور السريع ·

ولذلك فقد سارعت أوروبا وأمريكا بالذات الى محاولة أحتواء الثورة المصرية وأستقطابها وكان الغرب متردداد بين الصدام أو الاتفاق مع الثورة الجديدة · وقد وافقت بريطانيا على جلاء قواتها عن مصر أملا فى وقف طموح الثورة المصرية · وخوفا من مواجهة عنيفة مع الجماهير المصرية · التى كانت على أستعداد لتقديم أى نوع من التضحية من أجل كرامتها · **وان الثورة التى انطلقت بها جماهير الشعب المصرى ، وقد طرحت عن نفسها غبار السنين الحالكة التى مرت بها أبت الا أن تكون صدى للعمق الحضارى للانسان المصرى ، لقد انطلق الانسان المصرى رافعا رأسه يستنشق هواء وطنه وهو ينقيه من دخان الذل والهوان ، من دخان استعمار لوثه عبر سنين طويلة · لقد انطلق الانسان المصرى وقد برقت فى عينيه قيم حضارة صنعها للبشرية كرما وسخاء فاستولوا عليها غدرا وحقدا وحرموه منها ، بل قيدوه بالاغلال خوفا من يقظة كبرى يسترد فيها كل شىء فلما انطلق من مكمنه وحطم أغلاله اهتز كل شىء وبدا فى أوروبا البحث عن الطريقة التى يمكن بها سد الطريق أمامه · عن كيفية اعادة القيود والاغلال اليه مرة أخرى · الا انه انطلق ينظف مارسب فوق أرضه من رواسب الهوان والذل يزيل ظلمة أيام خلت ، ينير يومه ليجد طريقه ·**

وبدأت تتفتح الطرق والعلاقات وبدأ يواجه تطور العصر · ببناء نفسه ماديا ومعنويا ·

ولقد أزعج كل هذا أوروبا ومن خلفها أمريكا ولقد أتجه الانسان المصرى الى بناء نفسه أقتصاديا حيث كان تفكيره فى بناء سد للمياه عند أسوان ، يختزن المياه التى تتسرب الى البحر هباء وكان من حقه وهو الذى أعطى الكثير حضاريا وماديا أن يجد بعض المساعدة ممن أثروا وأستفادوا من حضارته · ولكن النفوس الحاقده فى أوروبا وأمريكا وقفت

فى وجه هذا المشروع العظيم ، وسحبت أمريكا تمويل السد العالى • وصمم هذا الشعب العظيم على أن يسير في طريقة وأن يبنى نفســـه من ذاتيته • فأمم الشركة العالمية لقنـاة السويس لتصبح شركة مصرية فلقد حفرت قناة الســويس بدم المصريين وعرقهم وأرواحهم ، وعلى الارض المصرية وكان التحدى الحضارى العظيم بأن يبنى الانسان المصرى نفســه رغم معاول الهدم الاوروبى •

لقد بنى الانســـان المصرى القناة بدمه وماله لينتفع بهـا العالم • فمن حقه أن يبنى ســدا الميـــاه لتنتفع به أجيالة الحاضرة والقادمة •

عدوان ١٩٥٦ :

واهتزت اوروبا وأنطلقت بكل قواها تبحث عــن الطريق لوقف هــذه الصــحوة الحضارية فى مصر • وكان طبيعيــا أن يستخدم الجســـم الغريب الذى زرعة الغرب فى المنطقة العربية والذى وصفة البعض بأنه عســكرى الامن الاوروبى على الارض العربية •

وكان لقاء جيمولية وايدن وبن غوريون في أحدى الضواحي القريبة من باريس فى فرنسا • للتخطيط لحمـلة عسـكرية ضد مصر تأديبا لها واعادتهـــا لحظيرة الضيعة ألاوربية فى الشرق •

وباركت أوروبا هذه الحملة الجديدة لاخضـــاع الشرق وأعادت اليها أحلام الحروب الصــليبية التى تحطمت عـلى صخرة الوعى العربى واليقظة والصمود المصرى •

وكان العدوان الثلاثى فى أكتوبر ١٩٥٦ حيث أشتركت فيه جيوش ثلاث دول هى فرنســـا وانجلترا واسرائيـــل (تلك الدولة الممثلة لشعب غريب خلقته أوروبا في فلسطين على هدى وصية لويس التاسع ملك فرنسا ، وتنفيذا لمؤتمر لندن ١٩٠٥) •

وباركت هذه الحملة كل القوى المعادية للحرية والسلام ٠ وأن الموقف الامريكى ٠ ازاء العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ، ومعارضتها له ٠ لم يكن نابعا من مبدأ شجب العدوان ٠ ولكن لانها لم تستشر ولم يؤخذ رأيها فساهمت فى فشل العدوان تأديبا لاوروبا ٠ ولكنها عملت بعد ذلك على تحقيق أهداف العدوان على مصر بوسائل متعددة سياسية وأقتصادية وأعلامية ٠

ولقد كان تصميم الشعب المصرى ، وأيمانه بحقه فى الحياة وأنطلاقة الحضارى صخرة قوية تحطم عليها العدوان الاوربى ٠

مصر والعلاقات الدولية

ومع أنهيار العدوان ، أنطلقت الشخصية المصرية لتسهم بدورها فى العلاقات الدولية وكانت مصر من أولى الدول التى عملت على خلق التقارب الافريقى الاسيوى ، ودفعت بحركة التحرير الوطنية الى أن تثبت فعاليتها ٠ ومدت مصر يدها الى أفريقيا لتسهم بايجابية فى معركة النضال الثورى على الارض الافريقية ٠ وكانت فلسفة الثورة المصرية دليل عمل للحركات الثورية ٠ الافريقية ٠ وابتداء من عام ١٩٥٨ شهدت أفريقيا أعوام الاستقلال وأن أختلف مفهوم هذا الاستقلال من دولة الى أخرى الا أنه كان خطى على الطريق نحو الاستقلال الكامل وبرزت فكرة عدم الانحياز بقيادة مصر والهند ويوغوسلافية لتبلور العلاقات الوطنية بين الدول المناهضة للاستعمار ٠ وتحملت مصر دورها بامانة واخلاص ، كما تحملته عبر تاريخها الطويل ٠ وكان طبيعيا أن تنظم الحملات المعادية لحركة النمو فى مصر ٠ فكما وأجهت مصر الهكسوس والمغول والصليبين والغزوات الفرنسية والانجليزية بدأت بعد يقظتها تواجه نفس الغزاه فى صور مختلفة وكان أبرزها العدوان الثلاثى من فرنسا وانجلترا واسرائيل عام ١٩٥٦ ٠ وبعد أن فشلت هذه الحملة عادت أوروبا لوصية لويس التاسع ملك فرنسا ٠ بأن تكون حملات الغزو سلمية ٠ فبدات

الحملة العسكرية عام ١٩٥٦ ورغم هـذه الحمـلات المستعرة العربى ثم حملات الحصار الاقتصـــادي وصلت الى حد حظر توريد الادوية والاغذية الى مصر • ولقد قادت هذه الحملات الولايات المتحدة الامريكية لتحقيق الاهداف التى فشلت فيها الحملة العســـكرية عام ١٩٥٦ ورغم هذه الحملات المســتعرة كان الانسان المصرى يخطو للامام فكانت وحدة مصر وسوريا عام ١٩٥٨ كتحد لتلك الحملات المعادية وكتعبير عن التصميم العربى • ثم كانت مسارعة القوات المسلحة المصرية لمساعدة ثورة اليمن ، والخروج باليمن من العصور القديمة الى العصر الحديث كما قدمت مصر مساعدات لا حد لها لثورة الجزائر • وانطـلاقا من نفس الفهم الحضـــارى للرســـالة المصرية •• قدمت مصر مساعداتها المختلفة لشـعوب كينيا واوغنـدا ، وبتسوان وليسوتو والكمرون والصومال ونيجيريا وبورندى والسودان وغينيا وغانا الى أن حصلت هذه الشـــعوب على أستقلالها ومازالت تقدم مساعداتها الى شعوب المناطق التى مازالت تناضل من أجل حريتها واستقلالها فى جنو بافريقيا انجولا بوزمبيق ونآميبيا وزمبـابوى وغينيا بيســـا وكانت القاهرة بوتقة النضال الثورى انصهرت فيها كل المعانى والقيم الانسانية • لتخرج فكرا ثابت لاتؤثر فيه زوبعــات الارهــاب والخديعة والاستغلال العنصرى والاســتعمارى واحتفظت مصر بوقفتها رغم مادفعته غالبا على أرض اليمن ورغم انسلاخ سوريا عنها ورغم الحرب الاقتصادية التى بلغت ذروتها فى الستينات ورغم الدماء الغريزة التى روت أرض ســيناء فذلك قــدر مصر على مر التاريخ أن تقدم للانسانية كل ماتستطيع خلقه حضاريا وانسانيا لاتنتظر شكرا يجب أن يقال ولا مســاهمة يجب أن تقدم بل كل ماتلقته مصر هو النـكران والعـداء من فئة عاقة للانسانية لقيطة حضاريا •

وفى الستينات بدأ الانسان العربى يلتفت يمينه ويساره • وبدأت القاهــرة تشده اليها وبدأت أوروبا تدرك أن الانسان المصرى انتصر على كل محــاولات أوروبا لاعــادته الى أغلالهــا وقيودها • وانطلق بمفاهيمه وقيمه الحضارية لتكون دليــل عمل للمناضلين الوطنيين على الارض الافريقيـــة والعربيـــة

والآسيوية بل ان الحركة المصرية في مبادئها وجدت طريقها في أمريكا اللاتينية كفلسفة سياسية جديدة تعبر عن الشخصية الوطنية تواجه الفلسفة الرأسمالية والماركسية ٠

عدوان يونيو ١٩٦٧ وتطور العلاقات العربية :-

طرحت الاحداث فى الشرق على المفكرين السياسيين فى أوربا وأمريكا ٠ وتأثير هذه الاحداث على حاضر أوروبا ومستقبلها٠ وعجز الدولة المقيطة (اسرائيل) التى وجدت فى الشرق عن وقف النمو الحضارى فى المنطقة بل لقد وضح لأوروبا أن هناك تحدى من شعوب المنطقة لمواجهة هذه المظاهر العادية لشعوبها٠ ولقد راجعت أوروبا نفسها فلقد فشلت فى عدوان عام ١٩٥٦٠ كما فشلت من قبل فى حروبها الصليبية ٠ ولذلك فقد فكرت أوروبا كما فكر لويس التاسع ملك فرنسا من قبل ـ حيث استعان بالمغول فى ضرب القوى العربية ٠ فكرت أوروبا فى تسليم حركتها ضد الشرق الى الولايات المتحدة الامريكية لاعتبارات متعددة :ـ

أولا – الفكر الامريكى ماهو الا امتداد للفكر الاوروبى خلقيا وعنصريا ٠

ثانيا ــ القوة الامريكية قادرة على تحقيق أهدافها عسكريا٠

ثالثا – الشعب الذى خلقته أوروبا فى المنطقة كقوة تمزيق لها تحول ارتباطه وولاؤه الى أمريكا سياسيا واقتصاديا وعسكريا ٠

رابعا ــ تفادى ظهور أوروبا فى مواجهة مباشرة مع العرب حيث ترتبط بمصالح عديدة معهم ٠

وتولت أمريكا عن أوروبا مسئولية تأديب الشرق ووقف نموه الحضارى واخضاعه لنفوذ الغرب وبدأت أمريكا تخطط لهذه الحملة الجديدة وسارت فى اتجاهين :

الاول ــ توثيق علاقتها ببعض الانظمة العربية، مستغلة كره هذه الانظمة للشيوعية الدولية متمثلة فى الاتحاد السوفيتى،

الذى ارتبط بصلاة مباشرة مع بعض البلاد العربية حيث ساهم فى تسلحها عسكريا وعاون فى حل بعض المشاكل الاقتصادية، ونطبيق هذه البلاد بعض المبادىء الاشتراكية ٠
ولقد دفع هذا الولايات المتحدة الامريكية الى استغلال هذه العلاقة والادعاء بارتماء هذه الدول فى أحضان الاتحاد السوفيتى ٠ وذلك لتعميق الخلاف بين الدول العربية وتمزيق التقارب العربى ٠

الثانى ـــ بناء اسرائيل عسكريا واقتصاديا كقوة ردع فى المنطقة وتحويلها الى ترسانة أسلحة أمريكية ٠ تتمكن بها أمريكا من فرض سيطرة كاملة على الشرق واخضاعه للنفوذ الغربى

واذا كانت الاربعينات شهدت بعض اللقاءات العربية الرسمية وانشاء الجامعة لعربية التى عاونت بريطانيا فى انشائها بهدف التحكم فى مقدرات المنطقة من خلال تجمع شكلى ٠ ألا ان الخمسينات شهدت تطورا فى فكر الجامعة العربية ٠ وطرحت قضايا عربية متعددة ٠ وتحركت فى الخمسينات صحوة الجماهير العربية ٠ وبدأ مفهوم القومية العربية كقضية جماهيرية يفرض نفسه فى الاجتماعات المختلفة وبدا صراع بين القومية العربية كحركة جماهيرية تقدمية وبين أفكار بعض القادة العرب ٠ فى أن العلاقات العربية يجب أن تتحدد من خلال مفاهيم الدين والعقيدة ٠ ولقد كثفت أوروبا نشاطها فى تعميق هذه الهوه العربية بين الاتجاهين ٠ ثم ربط القومية العربية بالحركة التقدمية العالمية ٠ أو مايسمى باليسار العالمى ٠ ثم صعدت هذه الخلافات حينما أصدرت الجمهورية العربية المتحدة قرارات الحد من الملكية الزرعية وتوزيع الاراضى على المعدمين والقرارات الاشتراكية لعام ١٩٦١ ٠

وفى الستينات شهدت المنطقة العربية حركة جماهيرية قوية فرضت نفسها على حركة النمو الاقتصادى والاجتماعى حيث استقلت الجزائر وتحررت اليمن من عهود القرون الوسطى واستقلت دول الخليج ٠
وبدأت الجماهير الفلسطينية فى تنظيم نفسها لتخرج من حالة

الضياع في الخيام باحثة عن طريقها السليم لقيادة الجماهير الفلسطينية نحو استعادة حقوقها المسلوبة . كما أتمت مصر بناء مشروعها العظيم السد العالى في أسوان .

كما أن الحركة الافريقية كتعبير عن نهضة الدول النامية بدأت تؤثر فى الميزان الدولى على المستوى الاقتصادى والسياسى وخاصة بعد تشكيل منظمة الوحدة الافريقية فى مايو ١٩٦٣، وظهور تكتلات اقتصادية افريقية منافسة للتكتلات الاقتصادية الاوروبية . كما أن التكتل الافريقى فى الامم المتحدة بدأيؤثر على الميزان السياسى فى المنظمة الدولية .

ولقد أدركت أوروبا هذه الحقيقة وانعكس ادراكها على الفكر الامريكى . ووجدت انه لابد من عمل شئ سريع وحاسم ،فان مصادر النمو الاقتصادى والحضارى فى أوروبا وأمريكا بدأت تهتز وتحس بصعوبة وخطورة الموقف الذى تعيش فيه . وظهرت فى الافق مؤشرات بخطر المستقبل نتيجة الصحوةالتى بدأ يدركها الانسان الافريقى والعربى .

وعقدت اجتماعات عديدة فى أوروبا وأمريكا وبدأت أجهزة التخطيط السياسىوالاستراتيجى تحدد معالم التدخل فىالمنطقة بصورة تتحقق بها الاهداف المقصودة ، دون أ نيؤثر ذلكعلى الميزان الدولى وكان طبيعيا حسب الفهم التاريخى للمواقع الاستراتيجية المؤثرة أن تختار المنطقة العربية وخاصة مصر وسوريا لتوجيه الضربة اليهما وبالقضاء على هاتين القوتين حسب الاقتناع التاريخى . يمكن السيطرة والتحكم فى جميع المناطق الاخرى فى افريقيا وآسيا .

وفى ٥ يونيو ١٩٦٧ تحركت اسرائيل لتنفيذ المخطط الغربى . ولتؤدى الدور الذى من أجله وجدت . وبتمويه من الدول الكبرى ، وخاصة أمريكا والاتحاد السوفيتى (بعلمه أو بدون علمه) قامت القوات الاسرائيلية بضربة سريعة ومفاجئة للقوات المصريةوالسورية والاردنية وتمكنتالقوات الاسرائيلية من توجيه ضربة مؤثرة للقوات المصرية . وتقدمت حتىوصلت الى الضفة الشرقية لقناة السويس وطلب منها أن تقف عند هذا الحد ، لاعتبارات ثلاثة فى التفكير الغربى :ـ

أولهما – حتى لاتتمادى القوات الاسرائيلية فى غرورها فتخرج عن المخطط الذى رسم لها ٠

ثانيهما – الخوف من مفاجئة قد تصيب هذا النصر بنكسه فينقلب المخطط الغربى الذى نجح نجاحا كاملا حتى هذه النقطة ٠

ثالثهما – الخوف من أن تتحرك الكتلة الاشتراكية ممثلة فى الاتحاد السوفيتى والذى لم يقف حتى هذه اللحظة موقفا ايجابيا ، بفرض تراجع اسرائيل حيث بدأت كما فعل فى عام ١٩٥٦ ٠

وان كان الموقف الروسى سواء كان تكتيكيا أو استراتيجيا يحتاج الى تحليل دقيق يرتبط ارتباطا وثيقا بالصراع الاوربى العام للسيطرة على الشرق ٠

وعلى الجبهة السورية استولت القوات الاسرائيلية على مرتفعات الجولان ذات الموقع الاستراتيجى الهام حيث تتحكم فى مستعمرات الجليل الاعلى ٠ فتأمن اسرائيل أى تهديد لها من هذه المرتفعات ٠ ثم أمنت اسرائيل وسطها بالاستيلاء على الضفة الغربية لنهر الاردن ٠

رد فعل الهزيمة : –

لقد عبر المجتمع الاوروبى والامريكى عن نفسه وعن احساساته ازاء هذه الحرب ٠ وبدى واضحا أن التفكير الاوروبى قد اعتبر هذه الحرب ، ثأرا لما لحقه فى حروب الصليبيين ولما لحقه من فشل السيطرة على الشرق وفقدان مستعمراته فى افريقيا وآسيا ومهما قيل عن النفوذ الاسرائيلى فى أوروبا وأمريكا لتبرير هذه الحملات المستعمرة والتى شملت الصحافة والاذاعة والتليفزيون والسينما وكل مجالات الدعاية والشماته التى لقيها العرب فى أوروبا وأمريكا فان الحقيقة فرضت نفسها وحتمت على الجماهير العربية أن تعيها وان خروج الامة العربية فى ٩، ١٠ يونيو عام ١٩٦٧ ٠ حينما أراد جمال عبد الناصر أن

يتنحى عن موقع المسئولية والقيادة ، وأن يسلمها لأى من يشاء كان خروج هذه الامة رفضا للانهزامية والتخاذل رفضا للاستسلام تأكيدا على الصمود ومواجهة التحدى الغربى ٠ حتى أن جماهير بعض الانظمة العربية التى كانت تختلف مع جمال عبد الناصر اندفعت تدعوه للبقاء وتصر على قيادته للشعب لا حبا فى عبد الناصر ولكن اصرارا على المواجهة واستعدادا لمواجهة لتحدى ولم يكن هذ الموقف قاصرا على البلاد العربية ولكن الجماهير الافريقية فى تنزانيا وزامبيا وغينيا والسنغال والكونغو رموريتانيا ومالى ونيجيريا وأوغندا واثيوبيا وجيبوتى والصومال ، اتجهت الى السفارات العربية تساند التحدى العربى وفى (سيا نفس الصورة وكانت المواقف صدى للعمق الحضارى داخل نفوس هذه الجماهير التى أدركت أن الثورة العربية فى صراعها مع الغرب ، انما تناضل من أجل استرداد حقها فى الحياة وتمكين هذه الجماهير من أن تستعيد قيمتها وثروانها وكرامتها لتبنى على أرضها أمة جديرة بالحياة والبقاء أمة قادرة على الاسهام فى ركب الحضارة الانسانية دون حقد أو استغلال او ظلم ، وهي نفس الاسس والمبادىء والاهداف التى تعمل الجماهير الافريقية والآسيوية على تحقيقها ٠

وقاد عبد الناصر الشعب المصرى وايمانا منه بأن هذا الشعب هو شعب المعجزات فقد أعاد بناء جيشه فى فترة وجيزة ٠ وبدأ يتلافى أخطاء حرب ١٩٦٧ ٠ وكان لابد من اعادة النظر فى العلاقات العربية وأن ترتفع القضية المصيرية قضية الذات والكرامة العربية فوق كل الاعتبارات ٠

وبدأت اللقاءات العربية لتصفية المناخ العربى من تلك الغيوم والسحب التى كانت دائما تأتى من الغرب ولقد كانت الصحوة العربية مفاجأة أذهلت الغرب مما دفع بعض المسئولين الغربيين الى محاولة الوقوف ظاهريا ، ضد عدوان ١٩٦٧ ، وشجب هذا العدوان والمطالبة بعودة القوات الاسرائيلية الى مواقعها قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ بينما آخرون تمادوا فى تأييد اسرائيل وجاهروا به وتزعمت أمريكا هذا الفريق ، رغم ارتباطاتها مع بعض الدول العربية بل ان بعض المراقبين فى أوروبا كانوا ينتظرون أثر

هزيمة العرب على خريطة العالم العربى واختفاء بعض الانظمة العربية من عليها ٠

والاعتبارات التى دفعت هذا الفريق الاخير لتأييد اسرائيل هى : —

أولا — اقتناعهم بأن الخلافات العربية لن تسوى ولن تتحد كلمة العرب ٠

ثانيا — دراسة أوروبا لسيكيولوجية الشخصية العربية واعتقادها بأن هذه الشخصية غير قادرة على فعل شىء وترددها فى اتخاذ القرار مما يجعلها عاجزة عن مواجهة أى تحد

ثالثا — ارتباط بعض الدول العربية بمصالح اقتصادية مع هذه الدول سيمنعها من اتخاذ أى موقف قومى ٠

رابعا — تخلف وضع العرب ، سيجعلهم غير قادرين عسكريا فى يوم من الايام على مواجهة قوة الغرب ممثلة فى اسرائيل ٠

خامسا — الارتباط الكامل باسرائيل والاحساس بأنها الامتداد الطبيعى للغرب ، كما انها القوة التى خلقها لاضعاف وتجزئة المنطقة وفرض سيطرته عليها ٠ مما يفرض على الغرب الوقوف بجانبها علانية ٠

أما الدول التى شجبت العدوان وتظاهرت بمعاداته وطالبت بانسحاب القوات الاسرائيلية الى حدود ماقبل الخامس من يونيو فلقد أملى عليها هذا الموقف الاعتبارات الآتية :

أولا — ايمان هذه الدول بأن الحرب والعنف كان من أهم العوامل التى أدت الى وحدة العرب فى الماضى وانها ستعمل على وحدة العرب ، مما سيهدد المخطط الغربى فى بقاء الشرق حيث هو وممارسة الاساليب السليمة فى سلب ثرواته والسيطرة عليه ٠

ثانيا — اعتقاد هذه الدول بأن الشرق اذا تحرك فانه قادر على هذا التحرك مهما كانت المواجهة التى سيواجهها ٠

ثالثا – احتمال الاضرار بالمصالح الاقتصادية للغرب فى الشرق وهى تمثل أساسا هاما من أسس البناء الاقتصادى الغربى وهذا ماحدث باتخاذ قرار بتخفيض انتاج البترول وفرض حظر على تصديره لبعض الدول الغربية وان لم يتأثر الغرب عمليا ٠

رابعا – يمكن أن يستمر الدعم ومساندة اسرائيل دون الجهر بمعاداة العرب ٠ بل يمكن التظاهر بتأييد العرب ،بينما تستمر المساعدات وبتكثيف لاسرائيل فى الخفاء ٠

وهذا ماحدث من هذه الدول ابان حرب ١٩٦٧ وبعدها ٠

ولقد كان احساس اسرائيل بهذه الخلفية التى تستند اليها والتأييد المطلق العلنى وغير العلنى عاملا هاما فى تصعيدالغرور والصلفالاسرائيلى وانها أصبحت القوةالقادرة على المنحوالمنع٠ القادرة على التأديب والتهذيب ٠ وان العرب لم يعد أمامهم غير الاستسلام والقبول بالامر الواقع لان الشخصية العربية، قد اهتزت ثقتها فى نفسها ولم تعد قادرة على مواجهة الاوضاع الجديدة فى الشرق ولم يعد الجندى العربى الذى ضرب أمثالا عديدة عبر التاريخ قادر على اثبات حقيقته ماديا أو معنوياولكن يبدو ان ظواهر الامور التى خدعت بها أوروبا فى الماضى حيث كان الشرق يقدم مفاجآته بين حين وحين لم تدركها أوروبا فبينما الدعايات الاوروبية فى كل مكان تمجد الغرور والصلف الاسرائيلى والهزيمة التى لحقت العرب وانتظار انهيار بعض الانظمة العربية التقدمية ، واعادة رسم الخريطة العربية بما يتلاءم مع أهداف العدوان الاوروبى ، كان الانسان العربى يعمل فى صمت واصرار ، واستطاعت مصر فى فترة قصيرة وخيالية أن تعيد بناء جيشها وأن تستعيد ثقتها فىنفسها وبدأت مرحلة جديدة من تاريخ العرب عامة ومصر خاصة فلقد مكنت هزيمة ١٩٦٧ مصر من أن تتخلص من بعض المعوقات التى كانت تعوق حركة نموها وبدأت نظرة جديدة لاعادةتقييم الواقع المصرى محليا وعربيا ودوليا وبدأت تتحدد معالم المسئولية الوطنية والقومية ٠ وما أن بدأت حرب الاستنزاف فى أواخر عام ١٩٦٩ ، وأوائل عام ١٩٧٠ حتى كان الغربفى

هلع وارتياع وتصدرت أمريكا المواجهة لتخفيف الضغطالعربى على اسرائيل وبدأت المراوغات والمحاولات المغرضة من أجل وقف هذا الاستنزاف لحربى الذى كان علامة على طريق بناء القوة العربية وقدمت مشروعات أثر مشروعات ليس الغرض منها الاشيء واحد هو ضمانالقوةالاسرائيلية وبقاءهاوتدعيمها٠ وكان مشروع مستر روجرز وزير خارجية مريكا فى ذلكالوقت والذى انتهى بالفشل احدى مسرحيات الخداع الغربى ٠

موت عبد الناصر :—

وفى وسط هذا الصراع الرهيب بين انسان الشرق الذى يسعي للبناء والتقدم والنمو وقد خلت نفسه من كل حقد أو أنانية او استغلال وبين الغرب الذى بنى نفسه وقيمه على ماسرقه من الشرق وتشبعت روحه بالانانية والحقد والكراهية والاستغلال فى وسط كل هذا مات عبد الناصر ٠

ولقد كان موت عبد الناصر ظاهرة تاريخية تستوجب التحليل ٠ لقد خرجت الجماهير العربية فى ٩،١٠ يونيو عام ١٩٦٧ ٠ تطلب من عبدالناصر البقاء وأن يستمر فى موقع القيادة كرمز لتحدى الامة العربية لمحاولات قهرها ووقفنموها وفرضت الجماهير رأيها وبقى عبد الناصر فى موقع القيادة ليصنع مع شعبه وأمته معجزات البناء عسكريا ، والصمود اقتصاديا وكان هذا التحدىلطمة قوية للغرب هزته من أعماقه وفى عام ٦٨ ، ١٩٦٩ تحرك عبد الناصر داخليا بالحفاظ على ثقة الجماهير فى نفسها وذاتها وقدراتها على تحويل الهزيمةالى عامل مؤثر لتنقية المناخ الداخلى من بعض المؤثرات التى أدت الى الهزيمة واعادة النظر فى بعض التطبيقات التى بعدت عن صالح الجماهير ٠ كما تحرك عربيا بتنقية الجو العربى وتأكيد التفاهم والتقارب العربى وكان تحركه الدولى بايجاد أبعاد جديدة للقضية العربية فى اطار الحق العربى والعدل الدولى ٠

ولقد شهد عام ١٩٧٠ فى يونيه تحركا عربيا واسعا فى كافة المجالات ٠ ولم تتردد مصر فى قبول مبادرة رجرز وزير

خارجية أمريكا كتعبير عن حسن نيتها في سعيها للسلام ٠رغم اقتناعها بأن كل ، مشروعات الغرب، انما هي صورة من صور المزايدة والخداع لاعاقة القوةالعربية عن تحقيق أيءتقدم أو قوة في بناء ذاتها ٠ فبينما الغرب يبدو ساعيا لتحقيق السلام كان يعمل في جبهتين عريضتين :ـ

احداهما : تكثيف الامدادات العسكرية لاسرائيل ومدها بأحدث أنواع الاسلحة لالكترونية وبكل المعلومات التي أمكنه الحصول عليها عن القوة العربية ٠
ثانيهما : دفع عملائه في الارض العربية لتعميق هوة الخلاف العربي ، وتصفية الفصائل الفلسطينية التي افرضت هزيمة ١٩٦٧ ظهورها لحماية الشخصية الفلسطينية والحفاظ على الكيان الفلسطيني تحت أي صورة من صوره ٠ ولقد كان للملك حسين ملك الاردن دورا لايمكن أن يغفله التاريخ حيال القضية الفلسطينية فلقد ساهم مساهمة ايجابية في تنفيذ المخطط الغربي في هذا المجال ٠

كما ساهم في حماية الحدود الغربية لاسرائيل وحد من فاعلية الفصائل الفلسطينية وبذل جهدا في تصفيتها ٠

ولقد تحمل عبد الناصر عبئا كثيفا في هذا التحرك العربي وبذل جهدا وطنيا وقوميا من أجل التقارب العربي ومواجهة المخطط الغربي لتصفية الجماهير الفلسطينية ٠ ولقد نجح عبد الناصر في سبتمبر ١٩٧٠ أثناء تنفيذ المخطط الغربي لتصفية فصائل الثورة الفلسطينية بواسطة الملك حسين، نجح في جمع الرؤساء العرب بالقاهرة لمواجهة هذا المخطط الغربي حيال القضية العربية ولقد كان لهذا الدور أثره بين الجماهير العربية وفي وسط هذا الجوالمشحون الذي كانت تتابعه القوى المناضلة في افريقيا وآسيا لاحساسها بالارتباط المصري مع الجهد الذي يبذل على الارض العربية ، وترقبها لتطور الاحداث مات عبد الناصر ولقد كان موت عبد الناصر مفاجأة لكل الجماهير وما أن فاقت الجماهير من صدمة النبأ ٠ حتى خرجت جميعها على ساحة الارض العربية والافريقية والآسيوية ولقد حركتها

عوامل مختلفة · كان أهمها تأكيـد اصرارها وصـمودها فى التاسع والعاشر من يونيو ١٩٦٧ · واذا كانتفى هذا التاريخ قد فرضت على عبد الناصر البقاء فانها فى هذه المرة وقد رحل عبد الناصر خرجت لتؤكد اصرارها وصمودها علىمواصلةالسير فى طريقها النضالى من اجلاستخلاص حقها وحريتها فى الحياة وأن بين المناضلين كثيرون قادرون على حمـل راية النضـــال والسير بها الى نهاية الطريق ولقـد كان نداء الجماهير فى كل مكان يدوى من الاعماق بالاستمرار على الطريق والاصرار على الصمود والسير فى الطريق الذى رسمته الجماهير لنفسها ·

الغرب وموت عبد الناصر : —

وفى الغرب كان هناك احساس بأن عبئا من أعباء المواجهة مع العرب قد خف بموت عبد الناصر فلقد كان رد فعل الغرب منبثقا من العقيدة الغربية بان وجود شخصية وطنية وقويةفى الشرق قادرة على تجميعه وتوحيده والانطلاق به نحو التحرير من ربقة الغرب واستعادة شـخصيته وكيانه هى خطـر عـلى أهداف الغرب ومطامعه حيال الشرق ولقد كان عبد الناصر فى نظر الغرب هو تلك الشخصية التى استطاعت أنتستعيدزمام المبادرة الى الشرق وان تحرك الجماهير العربية والافريقيــة الى مواجهة مصيرية مع الغــرب للخــلاص من عوامل الاسـتعمار والاستغلال والسيطرة · ولذلك فقد كان عبد الناصر كابوسا على أنفاس الغرب انزاح بموته الا أنالغرب لميدرك أنالجماهير التى دفعت بعبد الناصر الى مواقع المسـئولية قادرة عـلى ملء الفراغ والاندفاع بطاقاتها وامكانياتها للاستمرار فى الطريق الذى رسمته الجماهير لنفسها ولقادتها · واذا كان الرئيـس محمد أنور السادات قد حمل الامانة بعد عبد الناصر فانه قد ركز على مابداه عبد الناصر من تنقية الجو العربى لسدالثغرات التى خلفها تباين المفاهيم العربية ومحاولة ازالة الاشواك التى أوجدتها القوى المعادية للامة العربية كمـا ركز الرئيس أنور السادات على بناء القوة العسكرية المصرية التى استطاعت فى نهاية عام ٦٩ وبداية عام ١٩٧٠ أن تخوض معارك الاستنزاف

البطولية والتى من خلالها استطاعت القوات المسلحة أن تضع استراتيجية جديدة لعملياتها الحربية وأن تهز ثقة العدو فى نفسه مما دعى الغرب الى المسارعة بتكثيف مساندته للعدو فترة حرب الاستنزاف والبحث عن كل الوسائل لوقف هذه الحرب · بينما كل هذا يحدث كان الانسان المصرى يعد نفسه ويبنى قونه الذاتية فى صمت واصرار ·

ولقد بذلت محاولات من الغرب لمعرفة مايدور تحت سطح الحركة العربية ، ومعرفة أبعاد تصورها وبدا اقتناعا فى الغرب أن قضية الشرق الاوسط لايجب أن تتحرك أبعد من هذا وأن الاسرائيليين أصبحوا قادرين على تجميد القضية وهذا فى رأى الغرب مصداقا لاقتناعهم بأن العرب لن يتحدوا فى يوم من الايام كما لن يقوموا على عمل يحتمل المخاطرة وانهم دائما يرضون بالامر الواقع حتى ان الدكتور هنرى كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية رد على سؤال بخصوص هذه القضية بأنه لايفكر حاليا فى بحثها حيث أنها ليست من الحده كى تفرض نفسها وأن هناك قضايا أهم منها فرضت نفسها على الواقع الدولى ·

ولقد كان هنرى كيسنجر يخشى أن يقترب من هذه القضية لعاملين نفسيين :ـ

أولهما :مشاعره الدينية باعتباره يهوديا واحساسه بالتعاطف مع اسرائيل وهى فى وضع من القوة بحيث لاتستطيع القوة العربية أن تفعل حيالها شيئا ·

ثانيهما : ارتباط اسمه بالنجاح فى حل القضايا التى يتناولها ، كما حدث فى مشكلة فيتنام ونجاحه فى فتح صفحة جديدة فى العلاقات الامريكية الصينية كذلك نجاحه فى سياسة الوفاق بين أمريكا وروسيا وخوفه من الفشل فى تناول قضية الشرق الاوسط المعقدة والتى لابد له فيها أن يأخذ الجانب الاسرائيلى ·

كما أن المواقف الاسرائيلية منذ حرب ١٩٤٨ حتى ماقبل حرب اكتوبر ١٩٧٣ من رفضها لكل قرارات الامم المتحدة ،

واتباع سياسة التوسع بالغرور والصلف الاسرائيلى • كل هذا ألقى أبعادا خطيرة ومعقدة على هذه القضية •

حرب اكتوبر ١٩٧٣ :-

لقد بلغ الغرور الاسرائيلى مداه عام ١٩٧٣ مؤيدا بالموقف الامريكى المعادى تماما للقضية العربية • وبلغ الاستهتار الامريكى بالعلاقات العربية الامريكية مداه ولم يعد هناك أى احترام أو تقدير لهذه العلاقات ولقد كان هذا التمادى الامريكى فى تأييد اسرائيل من ناحية وفى الاستهتار والاستهانة بالعلاقات العربية الامريكية من ناحية أخرى صدمة لبعض الدول العربية ذات المصالح المشتركة مع أمريكا فى دفع هذه الدول الى بحث علاقاتها معها ولم يكن يدور بخلد الغرب تحت أى ظرف من الظروف أن العرب قادرون على احداث تغيير بالمنطقة فلقد كان هناك اطمئنانا كاملا للموقف العسكرى الاسرائيلى حيث كانت الترسانة الاسرائيلية مكدسة بأحدث أنواع الاسلحة وبكميات تكفي لمواجهة الجيوش العربية مجتمعة • كما أن التحصينات العسكرية سواء على الضفة الشرقية لقناة السويس ببناء خط بارليف والذى تحدث عنه المعلقون العسكريون بأنه يعتبر من أقوى التحصينات العسكرية التى شهدتها العمليات الحربية على مدى التاريخ وأن اختراقه أن لم يكن مستحيلا فهو مخاطرة بالغة الخطورة والتعقد كما كان هناك اطمئنانا كاملا لموقف الاردن على الجبهة الشرقية أما على الجبهة السورية فى الجولان فقد استطاعت القوات الاسرائيلية أن تقيم حصونا منيعة وتحصينات تحول تماما بين السوريين وبين القيام بأى مخاطرة خاصة وان الطريق الى دمشق لم يكن يبعد أكثر من أربعين ميلا عن المواقع الاسرائيلية •

وعلى الجانب العربى كانت دروس معارك أعوام ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ محل دراسة كاملة وكانت القيادة المصرية والسورية تضع كل تصوراتها للابعاد الجديدة عسكريا وسياسيا مستفيدة من أخطاء المعارك السابقة فى كافة المجالات • ولقد

كان التركيز على اعطاء فرصة القتال للانسان العربى الذى لم تتح له فرصة القتال فى حروب ١٩٦٧،٥٦،٤٨ ٠

لقد كان عام ١٩٧٣ ثقيلا على النفسية العربية وكان هناك الحاحا جماهيريا بعمل شيء ما تتحرك به القضية دوليا من حالة الجمود والركود الى حالة الحركة والسخونة ٠

وفى الساعة الثانية من بعد ظهر السادس من اكتوبر ١٩٧٣ والعاشر من رمضان عام ١٣٩٣ هـ كانت الطلائع النضالية على الجبهة المصرية والجبهة السورية تتقدم مخترقة كل التحصينات المنيعة محطمة كل مقاومة تقابلها فتحطم خط بارليف بأكمله فى ست ساعات أمام الجحافل المصرية التى كان يحركها ايمان مطلق فى حقها فى استرداد أرضها واستعادة كرامتها ولقد كانت صرخة التكبير « الله أكبر » أنشودة الزحف نحو سيناء العزيزة ولقد فر من بقى من القوات الاسرائيلية طلبا للنجاه وصرخ بعض قادتهم «انها لحرب حقيقية» وان دلت هذه الصرخة على شيء فانما تدل على انهم لم يخوضوا حرب مواجهة فى الحروب السابقة مع القوات العربية فاذا ماواجهوهم هذه المرة فليس أمامهم الا الهرب طلبا للنجاة لقد تحطم مالايقل عن ٧٥٪ من لقوات الجوية الاسرائيلية كما دمر مالا يقل عن ٦٠٪ من القوات المدرعة ٠ وفقدت اسرائيل مالايقل عن عشرون ألف قتيل وجريح ومفقود ٠

وكان القتال المجيد الذى أثبت للعالم كله قدرة المقاتل المصرى والعربى على السيطرة على الاسلحة الحديثة واستيعابها واستخدامها الاستخدام لفعال جنبا الى جنب مع شجاعته النادرة وفى لحظات كانت مصر كلها خلف قواتها المسلحة يتبارى كل أبنائها فى البذل والعطاء فى رهبة تلقائية لم تترك فردا الا جذبته ٠

فاجأ هذا الشعب الذى اشتهر بحبه للسلام الاصدقاء والاعداء — بقدرته الرائعة على أن يتحول فى لحظات الى شعب مقاتل لايتردد أمام تضحية ولا يحفل أمام خطر وتبنى كله شعار القوات المسلحة «النصر أو الشهادة» ٠

ان حرب اكتوبر (رمضان) وما احدثته من آثار عريضة على المجتمع الدولى بصفة عامة وعلى المخطط الغربى من خلال الجسر الاوروبى فى فلسطين بصفة خاصة كانت أمرا طبيعيا بالنسبة للجماهير المصرية التى استيقظت والتى جبلت دائما على أن تقدم المفاجآت كلما هبت من سباتها ورفعت الغشاوة عن عينها ٠

ان الجماهير المصرية عاشت على هذه الارض تبنى الحضارة لخيرها ولخير البشرية منذ آلاف السنين وتوحدت صفوفها منذ فجر التاريخ حتى خلا تاريخها من الحروب القبلية والاقليمية والطائفية تفتحت بصفة عامة على العالم من حولها تعطيه من حضارتها وخلقها وابداعها وتأخذ منه كل جديد نافع للناس٠ ولو انغلقت على نفسها لعاشت فى عزلة قاتلة ولذوت حضارتها واندثرت كما اندثرت حضارات كثيرة ولكنها كانت تتلقى كل جديد فتعيد صياغته وتضيف اليه وتضفى عليه الطابع المصرى الاصيل ٠

ان الجماهير المصرية لو لم تفعل ذلك لما احتفظت بشخصيتها المتميزة والمستمرة عبر كل التطورات الحضارية التى عاشتها انها تنتمى الى شعب عريق وأصيل جعل من وطنه أرض السلام والتسامح وطوع أوضاعه لضرورات التقدم بعيدا عن التعصب البغيض والحقد القاتل والصدام الدموى ٠ لذلك أحب مصر كل من عاش على أرضها وارتوى من نيلها مهما يكن وضعه فيها٠

آثار حرب اكتوبر :ــ

لقد امتدت آثار حرب اكتوبر الى أعماق المجتمع الدولى وأحدثت ردود فعل مباشرة وغير مباشرة على العالم كله وعلى العلاقات العربية الاوروبية ٠ وعلى دول العالم الثالث ٠ وعلى المنطقة العربية ٠

ثانيا : على العالم :ــ

لقد تغيرت نظرة العالم الى المنطقة العربية تغييرا جذريا فلقد

كانت عناصر القوة العربية الكامنة بالنسبة للعالم مجرداحتمال نظرى بينما كان العالم يرى فى اسرائيل القوة الفعالةوالمؤثرة فى رسم مجرى التاريخ فى المنطقة والكفيلة بتشكيل مستقبله ولكن حرب اكتوبر طرحت الامكانيات العربية كحقيقة واقعة لا كمجرد احتمال بعيد وأخذ العالم يشك فى الحجج التىبنيت عليها اسرائيل وضعها الخاص فى العالم ٠

ثانيا : على علاقات العرب بالغرب : ـ

لقد اهتز المخطط الغربىبهزيمة القوة التى خلقها فىالمنطقة كقوة ردع وتخريب وسارعت أوروبا ـ خاصة أولئك الذين يرون فى محاربة العرب واستعمال العنف معهم عامل أساسى فى توحيد قوتهم ـ الىبذل الجهد للحفاظ على الوجود الاسرائيلى وبدأت أوروبا تدرك أن العرب قد استيقظوا وأن عملاقالشرق الحضارى بدأ يستعيد ماسلب منه وانه لا مفر من اللقاء معه والبعد عن مصادمته وكانت الدعوة الى حوار عربى أوروبى ٠ ثم تزعمت فرنسا الدعوة الى التعاون العربى الاوروبى علىجميع المستويات ثم قيام المستشارالالمانى فيلى برانت قبلاضطراره الى الاستقالة بزيارة بعضالبلاد العربية ولقد قدمتألمانيا آلاف الملايين من الماركات الالمانية مساعدة لاسرائيل تحت حجة التكفير عنذنب الاضطهاد النازى والذى تعرض له اليهود ابان الحرب العالمية الثانية ٠

كما أن الدكتور هنرى كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية الذى رفض أن يتناول بحث مشكلة الشرق الاوسط لانها علىحد تعبيره ليست من الحدة التىتفرضنفسها على المجتمع الدولى وجد نفسه وقد فرضت المشكلة نفسهاعليه بطريقة أذهلته فلقد نحطمت الخرافة الاسرائيلية تحت معاول الانسان العربى ٠ واندفع الدكتور هنرى كيسنجر يحدوهشىء واحد هو انقاذ اسرائيل وحمايتها فلقد صرخت جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل بعد ثلاثة أيام من الحرب تدعو أمريكا لانقاذها من الدمار والخراب الذى حاق بها ٠

ولقد وضع الدكتور هنرى كيسنجر كل امكانياته وجهوده لوقف القتال على الجبهتين المصرية والسورية وبذل جهودا مضنية للفصل بين القوات المتحاربة كما سارعت أمريكابتقديم مساعدات ضخمة ومكثفة لاسرائيل من خلال جسر جوى بين القواعد الامريكية واسرائيل • ولقد كان هنرى كيسنجر يدرك وهو يبذل هذه الجهود أن صحوة عربية فى الشرق قادرة على عمل المعجزات وأن قراءته للتاريخ علمته أن هذه الارض عبر تاريخها الطويل قادرة على التحدى وافراز عناصر القوة القادرة على المواجهة والصمود •

ثالثا:ـ على دول العالم الثالث :

لقد كانت آثار حرب اكتوبر على دول العالم الثالث لا حدود لها • فقد أحست بعد حرب اكتوبر انها تملك عناصر القوة التى تتمثل فى مواردها من المواد الاولية • وان صوتها فى المجتمع الدولى يجب أن يسمع وأن مصيرها يجب أن يتحدد ويتقرر بمعرفتها وليس بقرارات تؤخذ فى غيبتها •

لقد كانت الستينات من هذا القرن حقبة الاستقلال السياسى لدول العالم الثالث بحيث لم يبق للاستعمار الا بعض الجيوب التى تناضل شعوبها من أجل التحرير •

فان السبعينات هى حقبة محاولة تعميق الاستقلال السياسى وتحقيق الاستقلال الاقتصادى والبحث عن سبل التعاون الوثيق بين الدول التى تواجه مشكلات التنمية المعقدة والتى تعلم اليوم أن حل تلك المشكلات يقتضى الجهد والعرق كما يستلزم التآزر والتعاون فى مواجهة الاغنياء والاقوياء فى هذا العالم •

لقد جاءت حرب اكتوبر لتؤكد وتبرز الشخصية الوطنية وتدفع بها الى تحقيق أهداف النضال الوطنى فى البناء والتقدم • لقد كانت مواقف الدول الافريقية وقطع علاقاتها باسرائيل تأكيد لآثار حرب اكتوبر كما كان لقاء دول عدم الانحياز فى

الجزائر ومساندتها الايجابية والفعاله للنضال العربى أثرا هاما من آثار حرب اكتوبر المجيدة كذلك كان اللقاء الاسلامى فى لاهور بباكستان علامة من علامات حرب اكتوبر بل ان المؤتمر الدولى الذى دعت اليه الجزائر فى الامم المتحدة لبحث أسعار المواد الخام أثرا من آثار حرب اكتوبر ·

رابعا : على العالم العربى : —

لقد حطمت حرب اكتوبر القيود والاغلال التى رسف فيها العالم العربى ذليلا وصارت السلطة الوطنية فى أى بلد عربى تشعر بالعزة والكرامة ولم يعد العالم العربى غنيمة يختلف الاقوياء على أنصبتهم فيها ·ولم تعد ترسم مصائرهم واقدارهم من عواصم بعيدة بل صار العالم العربى طرفا قويا يتحدث عن نفسه بنفسه وبعد أن كان العرب يطرقون أبوابا فى أوروبا فلا يجدون صدى لطرقاتهم اذ بأصحاب هذه الابواب يهرعون لطرق الابواب العربية · والذين كان العرب يحدثونهم عن قضاياهم فيهزون أكتافهم اذ بهم يسعون للانصات والفهم وطلب المزيد من المعرفة تلك معانى عميقة من معانى حرب اكتوبر ·

لقد خاض الشعب العربى حرب اكتوبر بارادته الخاصة تماما · خارج مخاوف أسطورة الوجود الاسرائيلى ونوازع الدول الاجنبية واعتبارات توازن القوى العالمية ·

ان الفرصة التى كان العالم العربى يبحث عنها منذ يقظته فى العصر الحديث قد صارت متاحة ولم يعد عليه الآن الا أن يدرك قيمتها ومغزاها ويمسك بها ويرتفع الى مستوى متطلباتها ·

حرب اكتوبر والبترول العربى

لقد كان من أبرز معالم ماأنتجته حرب اكتوبر هو استخدام البترول كسلاح فى مواجهة الدول المؤيدة لاسرائيل ·

لقد طرح فى الماضى موضوع استخدام البترول كسلاح

لتأييد الحق العربى ، وربطه بالعلاقات السياسية مع الدول الغربية • وكان رأى الدول المنتجة له ابعاده عن الدخول فى الصراع السياسى فى المنطقة • وكانت أوروبا كلما أثير هذا الموضوع تبدى فزعا منه وتدعو الى عدم ادخال هذا العنصر فى الصراع السياسى بالمنطقة ـ مستخدمة كافة الوسائل بالضغط مرة والتهديد مرات ـ على انه موضوع اقتصادى بحت ، ليست له علاقة بالصراع السياسى ، فأوروبا تحصل على ٨٠٪ من تزويد أوروبا بالبترول فان الأقتصاد الأوروبى سيهتز هزة عنيفه • ولقد كانت مبررات عدم استخدام البترول فى الصراع السياسى فى المنطقة العربية من جانب الدول العربية المنتجة له • هى أن القدرات العربية لم تستطع أن تثبت قدرتها على حماية كيانها وشخصيتها • فكان ادخال البترول كسلاح فى هذا الصراع فقدانه هو أيضا • ولكن ما أن استطاعت حرب اكتوبر أن تبرز القدرة العربية على حماية نفسها وكيانها وأن تعيد للشخصية العربية كرامتها • حتى سارعت الدول العربية الى ادخال البترول كعنصر من عناصر هذا الصراع فالموارد الاقتصادية مرتبطة ارتباطا كليا بعناصر العمل السياسى • والصراع السياسى هو أساسا من أجل البناء الاقتصادى •

وان الضجة الصاخبة التى حدثت فى أوروبا لاستخدام البترول فى هذا الصراع ووصم العرب بالابتزاز والاستغلال • لتبرز لنا فعالية هذا السلاح من جانب • وتكشف لنا نوايا الغرب من اصراره على بقاء الشرق حيث هو وتجريده من كل أسلحته التى تمكنه من التقدم نحو بناء مستقبل جديد له من جانب آخر •

ان استخدام البترول فى الصراع العربى الاسرائيلى أو على الاصح فى الصراع العربى الغربى والحظر الذى فرض على تصديره الى بعض البلاد الغربية وما نتج عنه من هزة نفسية عنيفة داخل المجتمع الغربى • وان لم تتأثر به دول أوروبا اقتصاديا قد أدى الى عدة مظاهر فى الجانب الغربى :

أولا : تعميق الخلاف ولو ظاهريا بين بعض الدول الاوروبية وامريكا فى نظرتها الى الشرق ٠

ثانيا : اعادة تقييم الغرب لعلاقاته بالشرق والبحث عن استراتيجية جديدة فى تعامله معه ٠

ثالثا : بذل الجهد والتخطيط لجذب الاموال العربية العائدة من البترول لاستثمارها فى دول الغرب واستخدام هذه الأموال فى الضغط على البلاد العربيه صاحبتها من خلال تحكمها فى هذه الاموال ٠

رابعا : دراسة امكانية السيطرة على منابع آبار البترول بالقوة العسكرية ٠

والمقصود بكل هذا هو الانسان العربى ٠ لقد استخدم الغرب الجسم الغريب الذى زرعه بالمنطقة لتفتيت الجهدالعربى وتجزئة كيانه وتحطيم القدرة العربيةعلى النماء والتقدم وابقاء الشخصية العربية خلف أسوار الخوف والهوان ٠ فلما بدا للغرب أن هذا الجسم الغريب لم يعد قادرا على تنفيذ المخطط الغربى ٠ أمام الصحوة العربية برزت على سطح الفكر الاوربى ماكان دفينا ، من استعداده للتدخل المباشر ولو بالقوة المسلحة لسلب الانسان العربىاحدى موارده الاقتصادية والتى بها يستطيع مواجهة التحدى الغربى ، ذلك المورد هو البترول ٠ ولقد تصدرت أمريكا هذه المواجهة وأعلنت استعدادها للتدخل عسكريا لاحتلال منابع البترول فى المنطقة العربية ٠ وذلك أنطلاقا من قيادتها المجتمع الغربى الذى سلمها مهمة تقليص قوة الشرق واضعافه واستغلاله فى شخص المنطقة العربية ٠ ولقد تعللت أمريكا بحجج واهية من ارتفاع أسعار البترول وتخفيض انتاجه ٠ وليست المنطقة العربية وحدها هى المنتجة للبترول ٠ فهناك ايران ونيجيريا وفنزويلا وروسيا وأمريكا نفسها ٠ كلها دول منتجة للبترول ولكن كما ذكرنا فالمقصود هو الانسان العربى عماد الحضارة الشرقيــة ٠

الخــاتمة

ذلك عرض لقصة الصراع بين انسان الشرق بعظمته وقوته وانسانيته وبين عصابات الطريق التى تبحث عن القيم والثمين لتبنى به حياتها ومجدها وتطورها ولو كان ذلك على حساب موت وفقر وتخلف الآخرين ·

هــذه القصة التى بدأت منذ سبعة آلاف عـام مضت كان الشعب المصرى فيها هـو الهـدف لانه كان الخالق والمبــدع للحضارة الانسانية بقيمها وهو الذى حماها · كان العمـلاق الذى وهب للانسانية معانى وجودها وزرع الخير والامن والحب على الارض · ومن أجل كل هذه المعانى فقـد خاض حروبا عـديدة وتكالبت عليه قـوى الشر لتوقف قفزاته البنـاءه ولتسرق ما ابتكره وابدعه للانسانية الا انه لم يستسلم فقـد يستكين اذا غلب على أمره · ولكنه ينتفض اذا واتته الفرصة للدفاع عن ابداعه وابتكاراته وحمايتها والانطلاق بالانسانية نحو النمو والارتقاء ·

ولقد مرت على هذا الشعب قرونا بكاملها كان فيها لايكاد يملك شيئا من أرضة ولا من رأيه ولكنه بقى مع ذلك محتفظاً بشـخصيته المتماسكة وبنسـيجة الوطنى المنسجم يفنى فيه غزاته ومستغلوه ·

وكانت صفته المميزه على الدوام والتى كانت تجعله قادرا على هذا الاستيعاب العجيب لهؤلاء الغزاه والمستغلون هى انه كان دائما شعبا صـانعا للحضارة بانيـــا للعمران ولم تكن المهارات التى قدمها للدنيا ابدا من مهارات الغزو والتدمير بل من مهارات البناء والتعمير ·

وليس ادل على هذه الخصائص ذات الجذور العميقة من ان هـذا الشعب كان يمر بالاحـداث والتغيرات العميقة محتفظا بدرجة نادرة من الوحدة الوطنية والانسجام القـومى ما زالت مضرب الامثال فى العالم ٠

وان التحـولات السياسية والاجتماعية الكبيرة التى لابـد منها فى مراحل معينه من حياة كل امه حبه كانت لدى الشعب المصرى ذات طابع سـلمى لا دموى وكان الشـعب ينجزها ويتجاوزها ثم لا يلبث أن يضم جناحية بعدها على كل ابنائه ٠ حتى نظم الاستعمار والغزو التى نجحت فى مناطق أخرى فى أن تفرق وتقسم لم يكتب لها هذا النجاح فى مصر قط بل ظلت مصر فى نكاملها الشعبى والوطنى والجغرافى فوق كل نزاع٠

وقد كانت هذه الصفات ذاتهـا هى التى مكنتت الشـعب المصرى من أداء دوره التاريخى والارتقـاء بالبشرية حضـاريا ومساندة الامة العربية التى ينتمى اليها ورد الغـزوات عنها واحتضان قيمتهاوتراثها فى ظروف المحن والغزوات والتمزقات

كذلك فقد كان من أبرز صفات هذا الشعب دائما تمسكه بالايمان واعتزازه بالاصالة ٠

وسيبقى هذا الصراع ما بقيت مفاهيم الاستغلال والسيطرة والاحتكار أساس التفكير الغربى بطريقة مباشرة أو من خلال قوى أوجدها ويوجدها الغرب لتحقيق أطماعه ٠ كما هو الحال فى اسرائيل ٠ وعـلى الغرب وهـو يعيـد تقييـم سياسـته واستراتيجيته ازاا ءلشرق ـ وقد اسـتبان له ضـعف الجسم الغريب الذى أوجده والذى أصبح ضرره للغرب أكثر من نفعه ـ أن يبنى علاقته بالشرق على أسس التعاون المتبادل والمتكافىء، لان حدود الصراع الآن قد تعدت الشرق التقليـدى الى أقصى الشرق وافريقيا وأمريكا اللاتينية ٠ ولم يعد وجود اسرائيل ضمـانا لأى مصـالح غربية ٠ وعلى الشرق الآن فى اطـار التحولات الدولية ان يفرض شخصيته وان يوقف هذا الغرور والطمع الاوروبى وان يفرض توجيه التفكير العالمى الى بنـاء دولى لجميع الشعوب وان لا تبنى شعوب تقدمها ورخاءها على تخلف وعدم شعوب أخرى وان يستعيد الشرق قدرته عـلى العطاء والنماء من أجل خير الشعوب وارتقاءها ٠

المراجـــــع

١ ـ من الحروب الصليبية الى حرب السويس (٤ اجزاء)
للاستاذ محمد على الغتيت

٢ ـ موسوعة تاريخ العالم للاستاذ وليم لانجر

٣ ـ الحضارة الهانستية للاستاذ و ٠ و ٠ تارن

٤ ـ مدخل تاريخ الامريكتين للدكتور محمد أنيس
والدكتور رجب حراز

٥ ـ تاريخ العالم الغربى للاستاذ ل ٠ ج شبنى

٦ ـ ملف وثائق فلسطين الجزء الاول والثانى

٧ ـ الميثـــاق

٨ ـ حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة
للحافظ جلال الدين
عبد الرحمن السيوطى

٩ ـ جمهرة رسائل العرب فى عصور العربية الزاهرة

١٠ ـ ورقـة أكتوبر ٠

رقم الايداع بدار الكتب ٣١٢٣ / ١٩٧٥

طبع بمطابع روز اليوسف

الفهرس

تصحيح خطأ وصواب

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١١	٢٠	كاره	تارة
١١	٢١	كلما	وكلما
١٣	١٢	جدد	حدد
١٧	١٦	الدول	الدولة
٢١	٣	ويذكر	ويذكره
٢٢	٦	ومخالفات	ومحالفات
٢٣	٢٨	لمواجه	لمواجهة
٢٧	٦	وروبا	أوروبا
٢٧	١٢	للف	ألف
٢٧	١٤	انكبار	انكيار
٢٧	٢٤	مترنيخ	مترنيخ
٢٨	١٢	رفعة	رقعه
٣٢	١١	يسبح لى	يسبح بى
٣٥	٢٢	يجمع	بجمع
٤٣	٤	الاستحارية	الاستعمارية
٤٣	٨	مثيليا	مثلها
٤٤	٦	بلجيكيه	بلجيكه
٤٥	١٤	نشأ	نشوء
٤٦	١٣	حبال	حيال
٤٧	٤	حلبا	جليا

تصحيح خطأ وصواب

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٤٧	١١	مايتر	مآينر
٥٠	٣	معاملة	معالمه
٥٠	٣	وبين	بين
٥٣	٣٠	القادس	القدس
٥٤	١٢	فرعوا	فرغوا
٥٤	٢٤	اقامت	اقامات
٥٥	٢٢	حظر	خطر
٦٣	٢٢	تعبد	تعيد
٦٣	٢٢	تقرير	تقدير
٦٤	٧	السلطنه	السلطه
٦٥	١٦	مخططة	مخططه
٦٥	٢٨	مخطط ا	مخططها
٧٥	١		
محله : الحملات الداخلية بخلق جو من التشكيك وتعميق هوة الخلاف			
٧٥	٢١	غالبا	غاليا
٧٥	٢٣	الريزه	الغزيره
٧٦	٩	العادية	المعادية
٧٨	١	اخيام	الخيام
٨٧	٢	التعقد	التعقيد



طبع بمطابع روز اليوسف